روايات غادة

ايفيت شاندلر

حاوِل أن ترى الحقيقة

www.elromancia.com
مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

غـــادة

حاول ان ترى الحقيقة

سونيا التي لم تشعر أبداً بحنان الأب، تعرف فجأة ان ذلك الرجل الذي كانت تعتقد انه والدها لم يكن والدها.

والدها الحقيقي لا يزال حياً ويعيش في استراليا، وقد أرسل لها دايفيد لاصطحابها.

ترددت الفتاة كثيراً ولكن حاجتها للمال وللمأوى جعلتها تقبل بمرافقة هذا الشاب المتعجرف الذي شاء القدر ان تقع بحبه بينما هو يعتبرها فتاة ساقطة ويعاملها باحتقار.

- ١ -

رمت سونيا المجلة من يدها ووقفت أمام النافذة المطلة على حوض السباحة.

«لا تغضبي، سونيا» قالت صديقتها لورين وهي تقترب منها.

«انه مجرد كلام مجلات!».

«لا يمكنني ان أتحمل كل ما يكتبه هؤلاء الصحفيين الوقحين».

«يجب ان لا تهتمي لما يكتبونه، فكل القراء يعلمون ان ثمانين بالمئة من مقالاتهم تكون خالية من الحقيقة».

«انها والدتي، لورين، حتى بعد وفاتها لا يزالون ينبشون حياتها الخاصة، وأنا لا أستطيع ان أمنعهم من ذلك...».

قالت سونيا وهي تمسح دموعها ثم أضافت:

«تصوري انهم يتهمونها بأنها كانت تعاشر كل من تتعرف عليه. ما ذنبها اذا كان المعجبون يلاحقونها كيفما كانت تتجه؟ اوه، لورين» وأجهشت بالبكاء.

«اهدأي يا عزيزتي. فوالدتك نفسها لم تكن تكلف نفسها عناء الرد على أقلام الصحفيين، وعاشت حياتها دون ان تعيرهم أي اهتمام. يجب ان تفعلي كما كانت تفعل وإلا لاحقتك أشباحهم وقضت عليك».

«لا أستطيع ان أتجاهلهم، لورين. كما وأنني لا أستطيع ان أنفي ما يقولونه عنها. لقد عاشت حياتها في الوسط السينمائي وتعرفت على كثير من الرجال وأقامت علاقات مع بعضهم».

«لكنك لست مثلها» أجابتها لورين:

«سونيا انت فتاة شريفة، ولن يتمكن أحد من تشويه سمعتك».

«انت متأكدة، لورين؟ الا تسمعين همسهم؟».

صمتت لورين ولم تجبها.

«لقد سمعنا بأذاننا ثرثرتهم ذلك اليوم، أم انك نسيتي انهم يقولون ان البنت كأمها...؟».

«لكنك لست مثلها، لا تسمحين لأي رجل بالاقتراب منك، ولا تقضين أيامك ولياليك في البارات».

«ألم تقرأي ذلك المقال الذي يشكك بهوية والدي؟ تصوري انني بدأت أنا نفسي أشك به».

«والدك مات منذ مدة طويلة، ووالدتك ماتت منذ عدة أشهر. وأنت لا تزالين في العشرين من عمرك، بإمكانك

ان تثبتي للجميع انك مختلفة عما ينشرونه».

«يا الهي! أحب والدتي كثيراً ولا أستطيع الدفاع عن سمعتها. حتى ان الرجل الذي تؤكد لي انه والدي لم أعرفه جيداً، عشت معهما ثلاثة أعوام في طفولتي وعندما توفي، أرسلتني الى هولندا حيث عشت مع جدتي. جدتي امرأة طيبة جداً، ولطالما كانت تحاول ان تحذرني من اتباع مسلك والدتي. ولا أزال أذكر نصائحها وأعمل عليها».

«سونيا، انا أعرفك جيداً، ولن أنسى موقفك مني أبداً...».

«ذلك الموقف الذي جعلني اطرد من المدرسة... لا أزال أذكر كلمات المديرة وهي تطردني».

«كان كل ذلك بسببي، لكنك لم تسمحي لي بتبرير موقفك».

«ذلك لأن والدك لم يكن ليسامحك على الخروج ليلاً مع أحد الشبان. تلك الليلة عندما عدت متسللة الى المدرسة الداخلية وفاجأتك المديرة في الظلام، ادعيت انني أنا من خرج ليلاً كي لا تخبر المديرة والدك الذي لا يرحم أبداً».

«انه حتى الآن يعتقد انني لا أزال عذراء، لو علم بأنني كنت أخرج مع شبان في سن المراهقة لحرمني من الميراث».

«المهم انه لم يعلم».

«والفضل يعود لك، سونيا، أكرر شكري».

عادت الفتاتان الى طاولتهما وطلبت لورين القهوة.

www.elromancia.com

«هيا، أحضر القهوة» صرخت لورين بوجه النادل الذي ظل واقفاً لا يرفع نظره عن سونيا.

«أليس رائعاً؟».

«من؟ النادل؟» سألتها لورين بدهشة:

«انه ككل الرجال يحاول لفت انتباهك وكأنك الامرأة الوحيدة في هذا المطعم».

ضحكت سونيا:

«انت تبالغين، لورين».

«على كل من الذي أثار اعجابك، ذلك النادل الغبي؟».

«لا، انه ذلك الشاب».

«أين هو؟».

«لا تنظري» همست سونيا:

«ان طاولته وراءك».

«حسناً لن انظر».

«الآن يمكنك ان تنظري، ولكن لا تجعليه يلاحظ انك تتعمدين النظر اليه».

أوقعت لورين منديلها على الأرض وانحنت لتلتقطه وعندما رفعت رأسها، رأت شاباً أشقر يرتدي بدلة سوداء ويضع على عينيه نظارات شمسية.

«ما رأيك به؟» سألتها سونيا.

«انه لطيف».

«انه لطيف؟ هذا كل ما يمكنك قوله عن هذا الرجل الجذاب؟».

«يبدو انه أعجبك كثيراً. أتريدين ان تتعرفي عليه؟».

«لا، لا، اسكتي».

جاء النادل وقدم لهما القهوة وعاد ينظر الى سونيا بإعجاب.

«لا نريد شيئاً آخر» قالت له لورين بحدة فابتعد النادل على مضض.

«هاي، لورين، كنت قاسية معه».

«لأنه وقح».

«الرجل الجذاب لا يزال ينظر باتجاهنا».

«معجب آخر» قالت لورين ممازحة:

«هيا، لنشرب القهوة ونذهب، لا أريد ان أتأخر».

شربتا القهوة وغادرتا المطعم، عندما وصلتا الى موقف السيارات، راحت لورين تحدق بدراجة نارية ضخمة وقفت سونيا بجانبها.

«هل هذه الدراجة المرعبة لك؟» سألتها بدهشة.

«بالطبع، لا انها لليونارد».

«وأين سيارتك؟».

«عند الميكانيكي».

«وهل يسمح لك ليونارد بقيادة هذه الدراجة؟».

«بالتأكيد لا. فهو لم يرني عندما خرجت».

«وهذا الرجل العجوز ليونارد، يستعملها؟».

«لا» أجابتها سونيا ضاحكة:

«لكنها لأحد أقاربه».

«ألم تخافي وأنت تقودينها؟».

www.elromancia.com

«لا، أبداً، يكفي ان أدير المفتاح حتى يعمل محركها وتنطلق بسرعة جنونية، انظري».

ركضت لورين مسرعة نحو سيارتها بينما انطلقت سونيا بدراجتها ضاحكة ولم تنتبه للرجل الذي كان يقف أمام باب الفندق ويراقب الفتاتين.

عندما رأى سونيا تنطلق بدراجتها نظر اليها بدهشة وأسرع غاضباً الى سيارته المرسيدس التي استأجرها منذ وصوله الى فرنسا.

تبعها بسيارته خوفاً من ان تختفي من أمامه، لكنه فوجىء بازدحام السير وفقد أثرها. بعد بضعة منعطفات لمحها بقامتها النحيفة فوق تلك الدراجة المخيفة. يا الهي! صرخ مرعوباً، لن تنجو أبداً اذا وقع لها حادث.

فكر الرجل كأنه المسؤول عنها، لو كنت حقاً المسؤول عنها، لما تركتها تقود مثل هذه الدراجة قال لنفسه وزاد من سرعة سيارته. لقد قطع مسافة طويلة ليعثر عليها. والآن، وبعد ان وجدها، لن يسامح نفسه اذا حدث لها مكروه.

ظل بأثرها وهو يفكر أي نوع من الفتيات تكون هذه التي تعيش مع مخرج سينمائي بسن والدها.

فجأة، حصل ما كان يتوقعه، فبينما كانت تنعطف الى اليسار، دوى ضجيج كوابح الدراجة وسقطت الفتاة عنها بينما ظلت عجلات الدراجة تدور وقد سقطت الى جانبها.

بعد لحظات، كان الرجل يقف أمامها وهي ممددة على الأرض ووجهها نحو السماء.

انحنى الرجل وخاف ان يحركها، ربما أصيبت ببعض

الكسور، يا للفتاة المسكينة، انها لا تزال في العشرين من عمرها.

كانت الفتاة تشعر بأنها لا تزال تطير في الفضاء. فتحت عينيهابصعوبة وشكرت الله انها لا تزال على قيد الحياة.

لكن ما هذا الذي يحجب عنها نور الشمس؟ عندئذ فقط لاحظت الرجل منحنياً فوقها.

عندما فتحت عينيها بدت الدهشة على وجه الرجل، يبدو انه اعتقد انها ماتت.

رفعت رأسها محاولة النهوض، لكن يد الرجل لمست كتفيها بهدوء ولطف.

«لا تتحركي، آنسة قد تكونين مصابة بكسور!».

لكن الفتاة كانت متأكدة من انها بخير، فحركت يديها وقدميها.

«آسفة، ولكنني كما ترى، لست ميتة».

تجهم وجه الرجل وكأنه تلقى صفعة على وجهه، الغبية تعتقد انني كنت أتمنى ان تكون ميتة!.

«كما ترى، لا أزال على قيد الحياة... انظر، حتى انني لم أصب بأذى».

«انظري الى ساقيك...».

أمرها الرجل بحدة.

«لا بأس، انها بعض الخدوش، لا تستحق الاهتمام».

«بعض الخدوش؟ اشكري الله لأنك لم تصابي بكسور» وساعدها على النهوض.

لاحظت سونيا انها لم تشكره.

«شكراً جزيلاً على توقفك لمساعدتي، وأنا آسفة حقاً لإزعاجك...».

تأملها الرجل للحظات وهو يحاول ان يعرف اذا كانت سونيا غارني غريبة الأطوار أم بلهاء. توقفت نظراته على الخدوش في ساقيها الرشيقتين.

«هل تتألمين؟».

«الألم بسيط، شكراً».

نظر الى الدراجة وسألها:

«هل آلة الانتحار هذه لك؟».

«تقريباً» وانحنت لترفع الدراجة، لكنها لم تستطع.

«دعيني أساعدك».

«لا أريد ان أؤخرك».

«سأوصلك الى منزلك» قال وهو يضع الدراجة الى جانب الطريق.

«لا ضرورة لذلك، سأعود وحدي».

«لا تقولي بأنك لا تزالين تفكرين بقيادة هذه الدراجة ثانية؟».

«بالتأكيد» أجابته مبتسمة:

«لا تحاول اخافتي».

«لكنك لا تستطيعين السيطرة عليها».

«بل أنا أتقن قيادتها! والحادث لن يتكرر».

لن تقودي هذه الدراجة».

«ولن أتركها هنا. فهي لصديق لي».

«ليأتي ويأخذها بنفسه جزاء له لأنه سمح لك بقيادتها».

«اما ان تدعيني أقلك الى المنزل أو تمشين المسافة كلها».

«اذهب انت وأنا سأجد من يقلني الى المنزل».

«بالتأكيد لن تجدي صعوبة في ذلك».

لاحظت الفتاة السخرية في كلماته. لا بد انه يعتبرها من الفتيات اللواتي لا يترددن في الخروج مع أي كان.

«هذا يعني انه يجب علي ان أقبل عرضك».

«هذا هو أفضل حل، آنسة غارني».

«يبدو انك تعرف اسمي سيد... هل كنت تلاحقني؟».

«دايفيد مايسون. نعم كنت ألاحقك» ثم تناول مفاتيح الدراجة التي كانت على الأرض وأضاف:

«قودي انت السيارة وأنا سأقود الدراجة».

لكنه أضاف أمام ترددها.

«أؤكد لك آنسة غارني انه لا يوجد اي سبب يدفعك للخوف مني».

«ولكن كيف عرفت اسمي؟» سألته وقد تذكرت فجأة انه نفس الرجل الذي كان يجلس خلف طاولتهما في مطعم الفندق.

«ألست ابنة الممثلة الراحلة ليندا بلاك؟».

«نعم وهل يزعجك ذلك؟».

«كلا، ولكني كنت أفكر بما قاله لي عنك أحد أصدقائي في استراليا».

«وماذا قال؟».

www.elromancia.com

«قال بأنك لا تشبهينها».

«نعم، لا أشبهها. لكنني لا أقل جمالاً عنها».

«هذا واضح» أجابها الرجل وهو يتأملها بإعجاب.

«من هو الذي كلمك عني؟».

«ستتكلم فيما بعد، هيا، انطلقي انت بالسيارة وأنا سأتبعك، لكن قودي على مهل لأن السيارة ليست لي، استأجرتها لمدة قصيرة خلال اقامتي في فرنسا».

انطلقت سونيا بالسيارة وهي تراقب الرجل الذي يتبعها على الدراجة في المرآة.

- ٢ -

يجب ان تعترف بأنه يسيطر على الدراجة بشكل أفضل منها. يا له من شاب وسيم! لكنه لا يختلف عن غيره من الشبان الذين يستمتعون بمناسبة كهذه ويستغلونها ليقيموا علاقة مع الفتيات.

بعد دقائق دخلت ممر حديقة الفيللا المحاطة بالأشجار العالية، تبعها دايفيد على الدراجة.

ما ان أطفأ دايفيد محرك الدراجة حتى أسرعت سونيا نحوه.

«شكراً لك سيد مايسون» واتجهت نحو مدخل الفيللا كأنها تطلب منه الرحيل.

في نفس اللحظة وصلها صوت رجولي.

«سونيا، وأخيراً عدت يا عزيزتي؟».

www.elromancia.com

التفت الاثنان الى الأعلى فرأيا ليونارد يقف خلف النافذة في الطابق العلوي.

بدت الدهشة على وجه الرجل المسن عندما نزل وانضم اليهما في الحديقة.

«لماذا تأخرت؟ كنت على وشك ان أرسل فرقة للبحث عنك» ثم لاحظ ذراعيها المتسخين».

لقد... واجهتني بعض المتاعب مع الدراجة» اعترفت بتردد.

«لماذا أخذت الدراجة؟».

«لا تزال سيارتي في الكاراج...».

التقت نظرات الرجلين، وأدركت الفتاة انها لم تقم بالتعريفات.

«هذا دايفيد مايسون، سيد دايفيد، أقدم لك السيد ليونارد داريل».

مد ليو يده نحو الشاب وانتظر منها بعض الايضاح. فهزت الفتاة كتفيها، لكن دايفيد سبقها الى الكلام.

«التقيت الآنسة في الطريق بعد ان حصل لها الحادث على الدراجة».

«هل تأذيت كثيراً» سألها المخرج السينمائي بقلق واضح.

«لا، انني بخير» ونظرت نحو دايفيد الذي ينظر اليها ساخراً.

«الحمد لله، ولكن يجب ان تنظفي الجرح كي لا يلتهب».

مشت خطوة الى الامام ثم عادت ونظرت الى الخلف متوقعة ان يستأذن دايفيد. لكنه لم يفعل وكأنه يرغب بالانفراد بليونارد.

«أليس السيد دايفيد على عجلة من أمره؟» وجهت كلامها له فنظر اليها بحدة ثم استأذن.

«شكراً لك سيد دايفيد لمساعدتك سونيا بالعودة».

«انه واجبي، سيد ليونارد» أجابه قبل ان ينطلق بسيارته.

«هذا الشاب يعتقد ان من واجبه مساعدتك» قال ليونارد لها وهو يساعدها على تطهير جروحها.

«لست أدري ماذا كان يعني بكلامه، لكنني متأكدة انه كان يلاحقني».

«لماذا؟».

«ألم تسمع كلامه؟ يعتقد انه ملاكي الحارس».

«الا تعتقدين انه ربما أعجب بجمالك؟».

«بجمالي فقط، ألم تلاحظ انه يعاملني كفتاة بلهاء؟».

«لا، أبداً» أجابها ليونارد ضاحكاً.

«الأمر ليس مضحكاً، ليو».

عندما آوت الفتاة الى فراشها، لم تتمكن من النوم بسهولة، فصورة هذا الرجل الذي يلاحقها ظلت تؤرقها طوال الليل. كان ينظر اليها بشيء من الاحتقار ويكلمها بسخرية، لكن نظراته كانت تدل على شيء من الاعجاب لا يرغب بالافصاح عنه.

لا بد انه يعتبرها فتاة طائشة ويعتقد انها تلهو مع الشبان. لا يمكنها ان تلومه طالما ان الصحف تتحدث

www.elromancia.com

كثيراً عن علاقات والدتها العاطفية. لكنه لا يعلم بأن سمعة والدتها هي التي جعلتها تختلف عن الفتيات اللواتي بمثل سنها وترفض أية علاقة مع الشبان الكثيرين الذين يحومون حولها.

هي نفسها تلوم والدتها رغم حبها الكبير لها. المسكينة! قضت حياتها تبحث عن الحب الضائع الذي فقدته بعد انفصالها عن والد ابنتها. كانت دائماً تعترف انه وحده الذي امتلك قلبها وانه كانت تبحث عن الحب مع كل من عرفتهم بعده، لكنها لم تجده مع غيره.

ليونارد داريل، كان آخر عشاق والدتها، عاشت معه الخمس سنوات الأخيرة قبل وفاتها. ولقد أحسن الرجل معاملة سونيا واعتبرها كإبنة له، وهي تحبه كثيراً وتعترف بجميله، فهو لم يطالبها بالرحيل بعد وفاة والدتها، ويدفع لها كامل مصاريفها، وشجعها لتقدم طلباً للإلتحاق بالجامعة. وعندما أخبرته انها ستبحث عن عمل، غضب كثيراً وقال بأنها لن تعمل قبل انهاء علومها.

دايفيد أيضاً لم يتمكن من النوم هذه الليلة وظلت ابتسامة الفتاة تتمايل أمام مخيلته طوال الليل. فهو يعتبر نفسه المسؤول عنها الى ان يسلمها يداً بيد للرجل الذي أرسله للبحث عنها. كيف يمكن لفتاة لاهية مثلها عاشت في المدينة محاطة بالأصدقاء والمعجبين ان تعيش في منطقة شبه صحراوية بعيدة عن الحضارة؟ تساءل دايفيد وقد شعر فجأة بالشفقة على هذه الفتاة التي لم تنشأ في حضن والديها وبالتالي لم تجد من يوجه خطوات حياتها ويكبح

جماح طيشها. وعد نفسه انه سيبذل جهداً ليقوم بنفسه بهذا الدور اذا وافقت على الرحيل معه.

استيقظت سونيا في الصباح وهي تشعر بالصداع، ونصحها ليونارد بالبقاء في السرير. أحضرت لها الخادمة الفطور فلم تتناول منه شيئاً واكتفت بفنجان القهوة.

ماذا لو كان دايفيد هذا صحافياً؟ يا الهي! أتمنى ان لا يكون كذلك، قالت لنفسها وهي ترمي برأسها ثانية على الوسادة. بعد موت والدتها، شكل الصحافيون كابوساً بالنسبة لها. كانوا يطالبونها بكل تفاصيل حياة والدتها. لكنها كانت دائماً تتجنبهم كي لا تضطر لسرد خفايا حياة والدتها التي تحبها كثيراً. فهي تعلم ان والدتها كنجمة سينمائية مشهورة كانت تنتقل من رجل الى آخر.

لقد تعلمت سونيا ان تتقبل والدتها كما هي، ومع ذلك قررت ان لا تكون مثلها في علاقاتها مع الرجل وأقسمت ان لا تمارس الحب الا مع الرجل الذي تتزوجه.

زارتها صديقتها لورين بعد الظهر وضحكت كثيراً عندما أخبرتها سونيا عن ملاكها الحارس.

«يبدو انك سحرته لدرجة انه خرج بعدنا على الفور ولحق بك».

«لكنه فاجأني كثيراً عندما نادني باسمي» قالت سونيا بصدق.

«ولماذا الدهشة، لا بد انه قرأ عن ابنة الممثلة الشهيرة ليندا بلاك».

«لست أدري ماذا يريد مني، لكني متأكدة انني سأراه

من جديد».

دعتها لورين لمرافقتها لحضور حفلة راقصة عند احدى صديقاتها، لكن سونيا اعتذرت وقالت بأنها ترغب بالبقاء في المنزل.

«ستشعرين بالملل، سونيا».

«واذا رافقتك أيضاً سأشعر بالملل لأنني لست مرتاحة وقد أفسد سهرتك، تمتعي بوقتك».

«حسناً، الى اللقاء».

في صباح اليوم التالي للقائه معها، أرسل دايفيد برقية مستعجلة الى استراليا وظل ينتظر الرد قبل ان يقوم بأية خطوة أخرى، يفكر بمقابلة معها. فبالرغم من انها لم تكن تلك الفتاة البلهاء السطحية، فإن سحرها مدمر تماماً كسحر والدتها، لم يستطع ان يتخيلها بين القطعان والرمال أبداً.

كانت برقيته موجزة:

«وجدتها، انها تعيش مع رجل كهل، من الأفضل ان نتركها».

في اليوم الرابع، وصله الرد ببرقية أكثر ايجازاً ولكنها حازمة.

«جيء بها».

لم يكن أبداً هذا هو الجواب الذي كان ينتظره وفكر كيف سيتمكن من اقناعها بالذهاب معه الى الطرف الآخر من العالم. هل ستوافق عندما تعرف الحقيقة؟ رغم انه شبه متأكد من رفضها قرر ان لا جدوى من تأجيل اللقاء.

وهكذا، وجد دايفيد نفسه أمام الفيللا. استقبلته الخادمة

وأخبرته ان الآنسة تتمتع بأشعة الشمس بجانب حوض السباحة، وهمت بأن تخبر سيدتها بوصول الضيف، لكن دايفيد قال لها بأنه يفضل ان يجعل ظهوره مفاجئاً.

نزل الدرجات المؤدية الى الحديقة ثم سار بضع خطوات الى ان وصل الى بركة السباحة.

استند على جذع احدى الشجرات يتأمل الفتاة الممدة تحت أشعة الشمس الى جانب البركة. كان قد علم من الخادمة ان السيد ليونارد ليس في المنزل، فحدثته نفسه ان يعود أدراجه دون ان يعلن عن وجوده. ولكنه بقي مسمراً هناك، يحدق بجسدها شبه العاري. حاول انكار تأثيرها عليه، فحول نظره عنها للحظات ليعود ويتأملها بشغف أكبر.

ربما الحاسة السادسة جعلت الفتاة تشعر بأنها مراقبة، ولكنها ظنت انه قد يكون ليو، فالتفتت بعينيها الناعستين لترى الشخص الذي يستند الى جذع الشجرة. لكنها عندما تبينت شخصيته جلست بسرعة وصرخت بعصبية:

«ماذا تريد؟».

لاحظ دايفيد خوفها فقال بهدوء:

«جئت للتحدث معك فقط، لا لشيء آخر».

«التحدث؟ بماذا؟».

«عن والدتك، عنك، عن ماضيك».

«فهمت» قالت وقد تبدد خوفها:

«اذاً لهذا جئت؟».

«انت تعلمين؟».

«اوه، أظن ذلك، أسلوبك مختلف، أعترف بذلك، ولكن من السهل اكتشاف حقيقتك، سيد مايسون، لابد انك صحفي».

«تظنين انني صحفي؟» سألها دايفيد مايسون مبتسماً.

«الأفضل لك ان ترحل، فأنا لن أقول لك شيئاً عن أمي، فهمت؟».

«يبدو انك تكرهينها» قال بفضول وهو يقترب منها.

«أيجب ان أكرهها؟» قالت بسخرية:

«أم انك ترغب بسماع ذلك؟ تريدني ان أقول بأنها كانت أنانية متهورة؟».

«ألم يكن هذا صحيحاً؟».

- ٣ -

«اذا أردت ان تعرف، فأمي كانت لطيفة ومحبة ومرحة. كانت تقوم بكل ما بوسعها لأجلي... لا أتوقع منك ان تصدقني، فهذا يتنافى مع كل ما كانت تنشره المجلات عنها وعن اهمالها لابنتها الوحيدة. ولكن تأكد من هذا، اذا نشرت كلمة واحدة مختلفة عما قلته، سأحاكمك انت ومجلتك» أضافت مهددة.

«هل انتهيت؟» سألها بنفاذ صبر.

لاحظت سونيا بالتهكم من خلال لهجته، فلم تجبه.

«ان كنت قد انتهيت» تابع كلامه:

«قد أستغل الفرصة لكي أقول لك بأنني لست، ولم أكن صحافياً. وهذه الحقيقة يمكنك التحقق منها من جواز سفري» أضاف مخرجاً الجواز من جيب سترته، واقترب

www.elromancia.com

بضع خطوات ليرميه على المقعد الى جانبها.

نظرت سونيا الى الجواز ولكنها لم تلتقطه، فإن موقفها لا يحتمل المزيد من الاحراج، بعد ان قامت بالاستنتاجات الخاطئة عنه.

«هيا، تحققي منه!» ألح دايفيد.

«ولماذا أفعل؟ فلن يبرهن الكثير. انت تستطيع ان تضع ما تريد في الجواز».

«يا الهي. هل انت مجبرة على اعطاء أجوبة ذكية لكل ما يقال؟» قال دايفيد بنفاذ صبر.

كانت سونيا على وشك ان ترد بجواب فطن آخر ولكنها عدلت عن ذلك واكتفت بالقول:

«كنت فقط أقول وقائع».

«اذن دعيني أطلعك على بعضها» رد عليها:

«أولاً أنا لست مهتماً بقضية حياة والدتك مهما تكن مثيرة، ثانياً، أنا لا أحب ان أنعت بالكذاب من قبل ابنة، نجمة سينمائية مدللة... أفهمت؟».

هذه المرة لم تجبه بل وقفت ورمته بنظرة سريعة، ثم غطست بالماء. لقد كانت تلك أوقح طريقة يمكن ان تستخدمها لطرده.

عندما وصلت الى الطرف الآخر للبركة، وجدت انه لا يزال واقفاً مكانه. ولكن وجهه يدل على انه يحاول السيطرة على غضبه:

«أمامك ثلاثون ثانية للخروج من الماء».

«واذا لم أفعل؟ ما الذي يمكنك فعله... أتغطس

ورائي؟» قالت له بلهجة محتقرة.

«بقي ثلاثون ثانية» كان الجواب الذي رد به.

سبحت سونيا الى منتصف البركة:

«سوف تبدو مضحكاً جداً عندما تعود الى الفندق مبللاً».

«اثنتا عشر ثانية» كان يعد بدقة أخافتها قليلاً.

«حسناً، أقبل انك لست صحافياً. وستغادر انت الآن، فنكون قد تعادلنا».

«خمس ثوان» حذرها وكأنه لم يسمعها:

«هل ستخرجين؟».

«كلا، لن أفعل» ردت بتحدٍ. فبدأ على الأثر يفك أزرار قميصه، وهي لا تزال غير مصدقة انه قد يغطس وراءها. انه فقط يحاول ارباكها. لقد نجح قليلا، عليها الاعتراف، اتسعت عيناها عندما كشف القميص عن صدره العاري.

وعندما لاحظ دايفيد فقدانها لثقتها. شعر انه يستمتع بالوضع، فرمى قميصه على المقعد، وجلس ليخلع حذاءه. كان يتعمد الابطاء بحركاته. ثم وقف وبدأ يفك حزامه.

«من الأفضل ان تديري ظهرك الآن» قال عندها:

«لا أريد ان أؤذي احساسك».

«لن تفعل!» قالت محاولة ان تقنع نفسها بذلك.

«ربما انت على حق» فاجأها بجوابه:

«لقد نسيت انك معتادة على ذلك».

«أعني انك لن تجرؤ!» ردت.

www.elromancia.com

«انت على خطا بهذا سونيا» قال دايفيد، وقد قرر انه آن الأوان كي تتعلم هذه الفتاة الحمقاء متى تتراجع.

وراقبته غير مصدقة عندما خلع بنطاله، كاشفاً عن سروالٍ داخلي قصير، وغطس بالماء.

انتابها الرعب وراحت تضرب الماء بعنف باتجاه الجانب الآخر من البركة. ولكنها ما لبثت ان أحست بيد تشدها الى أسفل، فركلته بعنف على أضلاعه، وتابعت السباحة الى ان وصلت الى حافة البركة. وعندما رفعت جسدها فوق الماء، شعرت بيديه حول خصرها، حاولت المقاومة وظلت طوال دقيقة تحاول مصارعته، وعندما لم تستطع التخلص من قبضته، رضيت بالمحتم.

«هل اكتفيت؟» سألها دايفيد غير واثق في هدوئها المفاجيء.

كانت سونيا مقطوعة الأنفاس، فلم تستطع الاجابة سوى بإحناء رأسها، فخفف قبضته عنها، وعندما أدارها لتواجهه، حاولت الابتعاد قدر الامكان عنه.

«انت فتاة حمقاء وعنيدة، أتعلمين ذلك؟» قال دايفيد.

«أنا لم أبدأ بكل هذا» قالت محتجة وهي تحاول استرداد أنفاسها.

«ان هذا قابل للجدال، ولكن الآن ليس هذا ما عليك التفكير به بل كيف سينتهي الأمر».

«ماذا تعني؟» سألت الفتاة.

لم يستطع التصديق بأنها بهذه السذاجة:

«ما الذي تظنين انني أعنيه؟» قال ناظراً الى جسدها.

«توقف عن النظر الي هكذا» قالت سونيا محتقنة بالخجل والغضب.

«كوني شاكرة انني فقط انظر» وحول عينيه الى عينيها.

«اذا لمستني، سوف... سوف...» وحاولت البحث عن التهديد المناسب.

«سوف...؟» قال دايفيد هازئاً.

«اوه، اذهب الى الجحيم» ردت وهي تستدير مبتعدة. أثارت غضبه بكلامها هذا، فأمسكها بعنف مما أفقدها توازنها، فوضع يده على خصرها لكي يمنعها من السقوط، ولكن عندما رفعت عنها يده، اشتعل شيء ما بداخلها. ووجدت نفسها ملتصقة بصدره، وقد أمسك ذراعيها بيده ورفعها عن الأرض، وقبلها قبلة لا تحمل شيئاً من الرغبة، بل تسعى للإزلال والسيطرة، لتعلم سونيا كم هي ضعيفة! لقد كان درساً قاسياً، تعلمته بعد فوات الأوان. ملأت الدموع عينيها وهي تحاول دون جدوى الهرب من ذراعيه. ظلت تحاول الى ان تحول كبرياؤها وقوتها الى غصة كبيرة.

ولاحظ دايفيد انها تتوقفت عن المقاومة فرفع، رأسه، وعندما رأى خوفها، اختفى الغضب الذي كان يدفعه. حدقت به سونيا، ورأت تلك النظرة الغريبة في عينيه، بدا وكأنه نسي من تكون، وأغمض عينيه لحظة. أملت ان يطلق سراحها، ولكنها كانت مخطئة. اذ انه عاد وقبلها ولكن هذ المرة بشكل مختلف لم تستطع معه المقاومة. نسيت حتى من تكون، ووجدت نفسها تتجاوب معه.

www.elromancia.com

فجأة رفعتها يداه من خصرها الى حافة البركة، فجلست هناك وكأنها لا تعي ماذا يحصل بالضبط.

«اصعدي الى المنزل» جاء صوته خافتاً لدرجة انها لم تجب، وعندما لم تتحرك أعاد بلهجة قاسية:

«اغربي عن وجهي أيتها الفتاة بحق السماء!».

- ٤ -

هذه المرة اخترقتها رنة الاشمئزاز في صوته، فخنقت غصة بكاء، وسارعت بأقصى ما يمكنها الى غرفتها. ألقت نفسها على فراشها واستسلمت للبكاء، ثم سألت نفسها لماذا تبكي، انها لم تقم بأي خطأ. فقد قاومت، على الأقل في البداية، ولكنها لم تستطع ان توقف ذكرى استسلامها له، كيف سمحت له ما لم تسمحه لأحد من قبل. لقد أخافها الأمر. فما الفرق بينها وبين أمها الآن؟ ليست مختلفة كثيراً، بل ربما ليست مختلفة أبداً!.

وفكرت انه يجب عليها ان تنسى الحادثة، غداً تذهب الى باريس، ثم بعد ذلك تغادر نهار الجمعة، مع ليو، الى

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

أفريقيا حيث سيتم تصوير أحد أفلامه.

غسلت وجهها وارتدت ثيابها، واذا بها تسمع أصواتاً في الأسفل نظرت من الشرفة، واذا بدايفيد وقد ارتدى ثيابه يتحدث مع ليو. سمعت اسمها يتردد بالحديث وبعد نصف ساعة سمعت قرعاً على بابها:

«أنا ليو، هل أستطيع الدخول؟».

«أجل... حسناً» قالت بتردد.

فتح ليو الباب قائلاً:

«استمعي الي يا صغيرتي...» الا انه قطع كلامه عندما رآها تحزم حقيبتها.

«فكرت بالذهاب الى باريس، هل لديك مانع؟». سألته وهو يقترب منها.

«كلا... ولكن... ماذا عن دايفيد مايسون؟».

«ماذا عن دايفيد؟» وأحست بأن الاسترالي قد ربح ليو الى جانبه. وتمتمت:

«هل ذهب؟».

«أجل».

«جيد».

«سونيا؟» قال ليو ممسكاً ذراعها:

«ما الذي حصل بينكما؟».

لاحظت كم ان أفكارها السابقة كانت سخيفة، ليونارد هو الانسان الوحيد الذي لا يمكن ان ينقلب ضدها.

«ما الذي قاله؟».

«ليس الكثير، فقط انكما تشاجرتما».

«حسناً، هذا ما كان» وحاولت انهاء الموضوع، ولكن ليو تابع:

«وقال أيضاً ان أعبر لك عن أسفه».

«هل قال هذا؟» اتسعت عيناها غير مصدقة.

«تلك كانت كلماته بالتحديد» قال ليو:

«أعتقد انك تعلمين عن ماذا يعتذر».

«آمل انه يعتذر على وجوده» ردت بلهجة قاسية.

«لا بد انه كان شجاراً حامياً» قال ليو متنهداً ثم سألها:

«هل شرح لك شيئاً عن سبب وجوده هنا؟».

«ما الذي يحصل؟» وكان لديها شعور بأنها لن تحب ما يحصل أبداً.

وضع ذراعه حول كتفها:

«انها قصة طويلة، لماذا لا ننزل الى أسفل وأعد لك كأساً، ما رأيك؟».

«حسناً» لم تطلب مزيداً من الايضاحات بينما كانا ينزلان الدرج، وراح ليو يتحدث عن مشاكله مع فيلمه الجديد. كانت سونيا تفهم ليو جيداً، وتعلم ان تلك هي طريقته عندما يحمل خبراً سيئاً. ان آخر مرة تصرف بها على هذا النحو كانت عندما أطلعها عن الأحوال المالية السيئة التي خلفتها لها والدتها. فقد كانت والدتها مسرفة في حياتها، كما انها لم تتدانى أبداً عن اقراض أي محتاج. بالطبع ان هذه الديون لن تعاد أبداً وكل ما بقي هو مردود فيلم والدتها الأخير التي ربحت عنه الجائزة.

«لماذا لا تخبرني بالموضوع مباشرة ليو؟ ان هذا سيسهل

www.elromancia.com

الأمر على كلينا» اقترحت سونيا مبتسمة.

أخذ ليو نفساً طويلاً وأعلن بهدوء.

«آرماند غارني لم يكن والدك سونيا».

جاءت الجملة ببساطة. في البداية لم تشعر سونيا بأي شيء. لقد جاء وقع كلامه أقل سوءاً مما توقع. هل كانت تعلم ذلك في داخلها؟ بالطبع لم تكن متأكدة، ولكنها كانت تشعر بالأمر. تذكرت كيف ان والدتها لم تدع آرماند أبداً (بوالدك)، كما انها تذكرت بعض مما قالته جدتها قبل وفاتها.

«هل كنت تعلمين بالأمر؟» سألها ليو عندما رأى ردة فعلها الهادئة.

«لست متأكدة، لقد كان هناك بعض الاشارات التي تغاضيت عنها في حينها، بما لم أشأ ان أعلم، الا يبدو هذا جنوناً؟».

«كلا، بالطبع لا. كلنا يخجل من مواجهة الحقيقة في بعض الأحيان. أخشى ان أمك من هذا النوع كذلك، ولكنها كانت تنوي ان تطلعك على الموضوع في يوم من الأيام» وأخذ يدها مطمئناً:

«سونيا، ما الذي قالته جدتك بالتحديد؟».

«القليل، فقط اني أشبه والدي كثيراً، واني قد ورثت عنه لون بشرتي المائل الى السمرة».

«وهذا لا ينطبق على آرماند».

«ليس على ما أذكر. ولكنني فضلت التمسك بآرماند حينها واعتبرت ان الأمور كانت تختلط على جدتي».

«هل سيكون شعورك مماثلاً اذا قلت لك بأن والدك حياً ويريد ان يراك؟» قال لها ليو بلطف.

وعبست حين لاحظت ان دايفيد مايسون هو بالواقع رسول من والدها.

«بالواقع ان جزءاً مني يساوره الفضول. لكني أظن انه بإمكاني التكهن بالقصة، أعني من خلال تجارب والدتي. لا بد ان هذا الشخص رجل لطيف جداً، ولكن حظه السيء قضى بأن يكون كاثوليكياً ومتزوجاً».

بدا الألم على ليو:

«كنت أتمنى لو أستطيع ان أنفي كلامك» ثم تابع:

«سيعود غداً، وحتى لو غادرت الى باريس فإنه سيلحق بك، انه يريد ان يأخذك الى استراليا، الى حيث والدك».

تحولت تعابير وجه سونيا الى العناد:

«لا يستطيع ان يجبرني على الذهاب الى اي مكان».

«كلا، بالطبع لا» وافقها ليو:

«ولكن ما يقلقني هو ما قد يقوله، ومن الأفضل ان تستمعي الى الحقيقة مني لا منه».

«أجل، أعتقد هذا».

كانت القصة قصة حب من النظرة الأولى، بين الفتاة الهولندية وبين الرجل الاسترالي من أصل هولندي، حب محرّم دفعهما للذهاب الى باريس حيث يمكنه ان ينمو، امتدت الأيام والأسابيع ومن ثم الشهور على أمل الا ينتهي، ولكنه بالطبع انتهى. كان على الاسترالي العودة للسهر على قطيعه ومزرعته، وعلى زوجته وعائلته التي

www.elromancia.com

كانت بحاجة اليه. وترك الفتاة، حامل. انها قصة قديمة، قديمة.

«أمك لم تكن نادمة على ما حصل» أضاف ليو بهدوء:

«بالرغم من ان الرجل كان يكبرها سناً، فقد اعترفت انها هي من شجعه لانشاء العلاقة. كذلك، لقد كانت متأكدة بأنه كان سيبقى لو علم بوجود الجنين».

«ألم تخبره؟».

- ٥ -

«حتى هي لم تعلم الا عندما أصبح في استراليا. عند ذلك الوقت أصبحت بمواجهة الواقع، فحتى لو كان الأمر ممكناً، لما استطاعت ان تشاركه طريقة حياته».

«لا بد ان الأمر كان صعباً عليها، وحيدة في مدينة غريبة».

«انه لم يتركها دون دعم، كان يرسل لها الرسائل والنقود كل شهر الى ان طلبت منه ان يتوقف. بعد ذلك ساعدها آرماند».

«لقد كانت تعرفه في نفس الوقت» بدت الصدمة على الفتاة.

«فقط كصديق، لم أعلم بالضبط كيف التقيا، ولكنهما لم يعيشا سوياً سوى بعد مدة ليست بقصيرة من ولادتك».

www.elromancia.com

لقد أراحها تفسيره، اذ ان فكرة ان تكون والدتها قد انتقلت مباشرة من رجل الى آخر لم ترق لها:

«لقد كان آرماند أكبر سناً أليس كذلك؟».

«أجل، لقد كان في حوالي الخمسين، ولكن هذا لا يعني انها لم تحبه».

«متى علم هذا الاسترالي بأمري؟».

«ليس قبل ان تبلغي السادسة. كان قد عاد الى أوروبا ثانية بعد ان فُقد الاتصال بينه وبين أمك ومن الواضح انهما التقيا بالصدفة».

كان ليو يعيد ما أخبرته اياه والدتها:

«لقد كنتِ معها، ومن الواضح ان الشبه بينكما كان أكبر من ان يخفى، لقد أراد ان يشارك في تربيتك حينها، ولكن لبدا شعرت ان ذلك سيسبب لك الحيرة، فوافق ان يدع الأمر الى ان تكبري قليلاً».

«أظن انه سمع بموت والدتي» استخلصت سونيا.

«أظن ذلك، ولكن كما قلت لك، ان رغبته هذه ليست مفاجئة. وإن كان قد صبر حتى الآن فالأمر يعود لاضطراره لفعل ذلك».

«انت تعتقد انه يجب ان أذهب لرؤيته، أليس كذلك؟» سألته.

«أجل، أظن ان عليك التفكير بالأمر».

«لا أعلم، ليو، حتى لو أنني وافقت على مقابلته، ان ذلك سيسبب الاحراج لعائلته».

«ان كنت تفكرين بزوجته فقد توفيت منذ بضع سنوات،

وعلى حد علمي لا يوجد سوى ابن واحد».

«ولكن لابد ان يعترض» قالت ملحة.

«ولكنني أشك ان يأتي كل هذه المسافة لو كان معترضاً».

«أتعني... لا يمكن ان تعني...» رفضت سونيا ان تصدق ما فهمت الا ان ليو أكد مخاوفها:

«ظننت انك لاحظت» وعندما لاحظ صوتها سألها:

«ما الذي حصل بينكما انت ودايفيد، سونيا؟».

لم تسمعه اذ ان عقلها كان يصرخ غير ممكن! وهي تتخيل كيف استسلمت بين يديه وبادلته قبلاته.

«سونيا؟» ضغط ليو على ذراعها.

حدقت به ولم تستطع الكلام. وعندما أعاد عليها السؤال أجابت.

«لم يحصل شيء، لقد قلت لك ذلك من قبل».

«لا بد ان شيئاً ما حصل. فقد اختفى لونك تماماً عندما علمت ان دايفيد مايسون هو أخوك».

«انه ليس أخي!» هذه المرة جاء جوابها سريعاً.

لم يفهم ليو فقال لها ممازحاً:

«حسناً، أخاك من أبيك».

راحت تستذكر تعابير دايفيد، لابد انه نسي لبرهة من تكون، ثم تملكه الرعب عندما عاد الى الواقع.

«هل أهان والدتك، هل هذا ما في الأمر؟» اقترح ليو بعد ان امتد الصمت بينهما.

«أجل... أجل، لقد أهان والدتي» قالت مرددة نفس

الكلمات.

«حسناً، ان هذا طبيعي يا حبيبتي، خصوصاً وانه لابد يعتبر ليندا مسؤولة عن ايذاء زواج والديه».

وقفت سونيا سريعاً.

«الى أين انت ذاهبة؟» سألها وقد نبهته حركتها المفاجئة.

«الى غرفتي، ان لم يكن لديك مانع؟».

«كلا... كلا بالطبع. انت بحاجة لوقت للتفكير».

بالواقع لقد كانت تعلم الجواب مسبقاً، فهي تعلم انه من غير الممكن رؤية والدها دون ان تقابل دايفيد ثانية، وهذ ما لم تكن مستعدة لفعله أبداً.

أمضت سونيا ليلة قلقة، وهي لا تزال مصممة على تجنب الرجل الذي قلب حياتها رأساً على عقب. حاول ليو ان يغير رأيها عند الافطار، الا انها كانت ترفض التصرف بتعقل. ظلت على الشرفة الى ان ظهرت الـ ب أم، حينها دخلت غرفتها منتظرة من ليو ان يوصل، رسالتها الى الزائر.

بعد حوالي الربع ساعة سمعت طرقات ليو على الباب:

«أنا آسف سونيا، انه مصر على التحدث اليك شخصياً».

«ألم تقل له؟».

«اوه، بلى، لقد أوضحت له انه ليس لديك نية بالذهاب الى استراليا ولكن...».

«لا أريد رؤيته ليو».

«أجل، أعلم ذلك» وضع يداً مطمئنة على كتفيها:

«وأنا لن أجبرك على ذلك، المشكلة الوحيدة هي انني لست متأكداً كيف أتخلص منه».

«ارمه في الخارج» اقترحت سونيا.

كان ليو قد فكر بالاحتمال:

«يمكنني المحاولة، ولكنني أشك بنجاحها».

«كلا» قالت سونيا متذكرة قوة دايفيد الجسدية:

«يمكننا استدعاء الشرطة».

«لا يمكنك ان تكوني جادة بهذا!».

«لماذا؟».

«الا يمكنك تصور عناوين المجلات في حال حدوث حادثة كهذه».

«هل تعتقد بأن دايفيد قد يطلع الصحافة؟».

«ليس بالضرورة، قد يتسرب الخبر من الشرطة».

«أعتقد ذلك، اذن ماذا يمكننا ان نفعل؟».

«لا أعلم».

«ولكن المنتج آتٍ لاصطحابك بعد قليل» قالت متذكرة الموعد الذي لديه مع المنتج، تحضيراً لفيلمهما الجديد.

«ربما علي الاتصال به لألغي الموعد» اقترح.

«كلا، ان هذا سيكون سخيفاً، حسناً لننهي الأشياء معه» قالت وهي ترى وجوب ان تخوض معركتها بنفسها.

«ستنزلين؟».

التفت الاسترالي الى مصدر الخطى، والتقت عيناه بعيني الفتاة. ليو رأى ان تعابيره تنم عن اعتذار حقيقي،

www.elromancia.com

ولكنه لم ير أي أثر للتعاطف عندما نظر الى سونيا التي قالت أخيراً:

«لقد وددت التحدث الي حول شيء ما سيد مايسون؟».

«أجل، على انفراد».

«ليس لدي ما أخفيه عن السيد ليونارد» أجابت سونيا سريعاً.

«حقاً؟» جاء جواب دايفيد صاعقاً. ثم نظر اليها بسخرية وأضاف:

«أخشى ان أكون قد تفوهت بأشياء البارحة بعد ان فقدت أعصابي، وأفضل ان أعتذر عليها انفرادياً».

«لماذا لا تأخذي السيد دايفيد الى الشرفة بينما أعد لكما القهوة؟» اقترح ليو.

جلسا على الشرفة، وانتظر دايفيد مايسون بفارغ الصبر ان تلاحظ وجوده، فقد كان قد وعد نفسه بأن لا يفقد أعصابه، الا انه لاحظ بأن صبره سيؤدي به الى الانتظار حتى مغيب الشمس ولن تتكلم.

«أفهم ان لك الحق بأن تكوني متضايقة» قال أخيراً.

«متضايقة؟ هل هذا هو اعتذارك؟ بأن تعترف بأنه لي الحق بأن أكون متضايقة» قالت مقلدة لهجته الاسترالية.

أخذ دايفيد نفساً عميقاً ضابطاً أعصابه:

«كلا، ليس بأكمله» رد عليها.

«اذا كان اعتذارك كله على هذا النحو فأفضل تحاشيه» ردت ببرود.

«حسناً! ولكن دعيني أوضح لك أمراً بما يخص

علاقتنا...».

«لا يوجد بيننا علاقة بالنسبة لي» قاطعته بفظاظة.

«هذه هي نقطتي بالذات».

«اذن لماذا أتيت باحثاً عني؟».

«ليس لسبب آخر، عدا واجباتك تجاه والدك».

«والدك وليس والدي!» ردت سونيا بغضب.

«حاولي قلب هذا وستحصلين على الصورة الحقيقية» اقترح.

وقالت سونيا بعد برهة:

«ماذا يعني هذا؟».

«اذا فسحت لي المجال للكلام قد أقول لك» ونظر اليها دايفيد ثم تابع:

«لا يهم ان قبلت الأمر ام لم تقبلي، فلا يوجد أي شك بأن بادي مايسون هو والدك. حتى شكلك يبرهن ذلك. ولكنه ليس والدي. على الأقل ليس بالشكل الطبيعي... فأنا ابنه بالتبني».

بالرغم من التعجب الذي واجهت به سونيا الخبر، فإنها شعرت بالارتياح، بأن احساسها الأول من انه لا يمكن ان يكون دايفيد أخاها كان صحيحاً. وتحول شعورها تدريجياً الى الغضب:

«لماذا لم تقل شيئاً؟».

«كنت أحاول ذلك طوال العشر دقائق الماضية».

«أعني البارحة!».

«البارحة؟ ومتى سنحت لي الفرصة لأفعل ذلك؟ وهل

www.elromancia.com

كنت لتستوعبي او تتقبلي ما أقوله لك البارحة؟».

«لماذا لم تقل لي منذ اليوم الأول؟» سألته بريبة.

«أعلم انني تصرفت بطريقة خاطئة، وبخصوص البارحة عندما... عندما فقدت أعصابي، كوني متأكدة بأن ذلك لن يتكرر ثانية» أكد لها الأمر، ثم تابع:

«ما أقصده هو بأنه لا سبب لديك لأن تخافي من... من ان أقوم بأي محاولات أخرى معك».

«لم أتصور بأنك ستفعل» ردت سونيا سريعاً قبل ان يتمادى بالشرح.

«حسناً، ما دمت تفهمين» رد بفتور يظهر بأنه كذلك، مثل سونيا، يشعر بالاحراج من الموضوع.

دخل ليو:

«هل سوي كل شيء؟».

«ليس تماماً» قال دايفيد:

«كنا نناقش موضوع ذهاب سونيا الى استراليا».

لم تحاول سونيا ان تناقض كذبته التي دفعت ليو يقول مفاجئاً:

«لقد غيرت رأيك؟».

وقبل ان تستطيع الرد قال دايفيد:

«انها تفكر بالموضوع».

فرد ليو بسخرية:

«تقدم جيد. لابد انه لديك طرقك بالاقناع سيد مايسون».

«لم يقرر شيء بعد» ردت سونيا بعناد.

«لا أحد يجبرك على شيء سونيا، وأنت تعلمين بأنه مهما كان قرارك لا اعتراض مني» قال ليو.

وأحست بالذعر في داخلها عندما رن جرس الهاتف الذي ذكرها بموعد ليو على الغداء مع السنتج.

«لابد ان ذلك دال يتصل ليسأل عن سبب تأخري» قال ليو وفي لهجته ما يقول لسونيا بأنه على استعداد لإلغاء الموعد اذا أرادت، ولكن ذلك سيكون أنانياً منها فاكتفت بالرد:

«من الأفضل ان تسرع».

وبدأت تندم على جوابها منذ اللحظة التي ودعها ليو بقبلة على خدها.

«أتعجب كيف يسمح لك صديقك بالمغادرة» علق دايفيد.

«ان الأمر عائد لإرادتي أنا».

«جزئياً» قال.

«بل كلياً» ناقضته.

«هل أفهم انك ضد الفكرة في الوقت الحاضر؟» قال مركزاً نظره عليها.

«بل كلياً» أعادت.

«هل تحبين ان تشرحي لماذا انت لست على استعداد للذهاب؟».

«أنا لا أستطيع التفكير بسبب واحد يدفعني الى الذهاب» قالت بجدية.

«اذن سأعطيك انا سبب» أجابها:

www.elromancia.com

«لقد سافرت آلاف الأميال، وكل ذلك، لأن رجلاً عاطفياً ومسناً، يود ان يؤمن بيتاً وعائلة لابنة بالكاد يعرفها. لقد انتظر أربعة عشر عاماً كي تعطيه امرأة أنانية ذلك الحق، وقد لا يمتلك أربعة عشر عاماً أخرى حتى تحملك أهواؤك على زيارته. فكري بهذا فقط!» أنهى كلامه بعصبية.

كانت سونيا قد أخذت مشاعر الرجل المسن باعتباراتها، الا ان تعاطفها معه لا يقارن بكرهها لدايفيد مايسون.

«أنا لست بحاجة لبيت» ردت سونيا:

«واذا كان هذا ما يشغله، فقل له بأنني على ما يرام».

«كلا» أنكر دايفيد باختصار:

«لقد اتصلت به وأعلمته بوضعك».

عبست سونيا:

«أظن انك ما تعني، بوضعي، هو اقامتي مع ليونارد».

«أجل، لقد قلت له بأنك تعيشين مع رجل أكبر منك».

«انت لا تظن...» وتوقفت سونيا، تتساءل ان كانت قد فهمت قصده. بالطبع لا يمكن ان يكون قد تخيل بأنها وليونارد... بأنهما على... كلا، ان هذا سخيف جداً.

وتابع دايفيد:

«أنا لا أفكر بأي شيء. ان علاقتك مع ليونارد هي من شأنك انت».

«علاقتي مع ليو هي عبارة عن السماح لي بالبقاء هنا، الى ان أتمكن من تأمين تكاليف العيش لوحدي. أظن ان الأمور واضحة الآن».

لقد كان دايفيد يفكر ما اذا كان كلامها ينفي وجود علاقة بينها وبين ليو أو يبررها. وفي كلتا الحالتين لم يثق بأية كلمة قالتها.

«كنت أظن بإستطاعتك الحصول على أي شيء، فقد جمعت والدتك ثروة من مهنتها».

«وكذلك فقد أنفقت ثروات خلال حياتها».

«على ماذا؟» سألها.

«على التمتع بالحياة» أجابت.

«لابد ان تلوميها على تركك دون نقود» استنتج دايفيد.

«وهل علي ان أفعل؟ لماذا؟».

«ان ذلك يدل انها كانت مهملة بحقك».

«انت مخطىء» ردت سونيا:

«وان كنت تقيس الاهتمام مادياً سيد مايسون، فهذا يعكس نظرياتك في الحياة».

دفع كلامها أعصابه للإشتعال، فقد ضربت على وتراً حساساً.

«يبدو انك تماديت بكلامك آنسة» رد بصوت خافت وحاد. لكن شعورها بما وراء هذا البرود جعلها تأخذ جانب الدفاع.

«انت من بدأ، ورحت تقفز الى الاستنتاجات الخاطئة عني وعن ليو وتنشرها أيضاً».

«فقط لبادي. لقد شعرت انه يجب ان يعلم بأوضاعك» ومد يده الى جيب سترته وأخرج ورقة:

«خذي، هذا رده، يجب ان يعطيك هذا فكرة عن

www.elromancia.com

مشاعره».

التقطت سونيا الورقة التي رماها على الطاولة، وقرأت:

«لا تقفز الى الأحكام يا بني، عد بها الى هنا من فضلك. بادي».

بالرغم من اختصارها، فقد عكست هذه الكلمات شخصية الكاتب.

«هل هو مثلما يبدو من هذه الكلمات؟» سألته.

«هذا يعتمد على تصورك له؟».

أعادت قراءة البرقية، ثم هزت رأسها شاعرة بالسخف من فكرة تكوين رأي عن انسان من خلال بضعة كلمات.

«معظم الناس يصفونه بالطيبة» قال دايفيد:

«سوف ترين ذلك بنفسك عندما تأتين».

ورفعت سونيا عينيها عن البرقية:

«أنا لم أغير رأيي بعد».

وغرقت بالتفكير حول شخصية والدها. وفكرت انها في يوم من الأيام ستجد نفسها مدفوعة للذهاب الى استراليا ولو حتى لترى الشبه الذي بينها وبين والدها.

قطعت سونيا الصمت أخيراً قائلة:

«انت مخطىء بخصوص علاقتي مع ليو وأريدك ان تقول له هذا».

«كما تريدين» قال موافقاً.

ولكن جوابه لم يخدعها:

«انت لا تزال مقتنعاً برأيك أليس كذلك؟».

«وهل رأيي يهمك؟».

«أبداً» دفعها كبرياؤها للإجابة.

«حسناً، لا تقلقي بشأن بادي، فهو على الأرجح سيصدق كل ما تقولي له» قال لها:

«فهو لا يزال يراك تلك الفتاة ذات الشعر الأسود المبعثر والابتسامة البريئة» قال بلهجة ساخرة.

«أظن انك تعني يوم التقى بي... في باريس» ثم أضافت:

«كان ليو يعتقد ان الأمر مجرد صدفة».

«اوه، لقد حاولت والدتك ان يبدو الأمر كأنهما مجرد أصحاب عاديين. ولكن بادي لم يكن يملك مقدرتها على التمثيل، لقد كان يقف هناك، محدقاً بك».

«لقد حزر من أكون».

«حالاً على ما أظن. مع انك كنت فقط في السادسة، فإن الشبه كان واضحاً» وراحت عيونه مرة ثانية تتفحصها.

«ألم تلاحظ انت ذلك؟».

«ليس الى ان ظهر عشيق والدتك الفرنسي، لقد ناديته بابا، حينها ولم يكن يخفى على أحد التعبير الذي اعتلى وجه بادي».

«لا بد انها كانت صدمة بالنسبة لك أيضاً» قالت سونيا متعاطفة.

www.elromancia.com

- ٦ -

«على أي حال» تابع:

«وعدت والدتك بادي بأنها لاحقاً، عندما تكبري قليلاً، سوف ترسلك لزيارته».

«وبالطبع انك تظن انه كان عليها ان تفعل علقت سونيا.

«لكان ذلك أفضل لك» رد دايفيد:

«أفضل لك من تركك دون ضوابط في هولندا».

«وما الذي يعطيك هذه الفكرة؟» سألت سونيا بعبوس.

«لقد كنت هناك منذ أسبوعين» قال وكأن ذلك يعطي البرهان.

«اوه، فهمت. لا بد انك تحدثت الى العمة ماري» تغيرت لهجتها الى الاحتقار:

«وما الذي قالته عني، لا شيء جيد على ما أظن؟».

«لا شيء أبداً» وافقها القول:

«وقد زرت كذلك مدرستك الثانوية».

«لقد أرهقت نفسك جداً بالتقصي عني» قالت بهزء.

«أردت ان أعلم أين انت» وجد نفسه يقول مبرراً:

«احدى رفيقاتك اقترحت بأنك قد تكوني في هوليود».

«ولابدّ ان السيدة برونيل أطلعتك بنفسها على طردي، وأراهن انها فعلت ذلك دون ان تهمل أدق التفاصيل».

«أجل، لقد قالت لي بأنك كنت تخرجين ليلاً خلسة مع أحدهم».

لابدّ انه صدق كل شيء، لقد رأت سونيا ذلك في نظرة عينيه.

«لن تكذبي هذا» تحداها عندما لم تجب.

«سوف تصدق ما تريده انت على أي حال» لم ترغب الفتاة في ان تضيع وقتها بالدفاع عن نفسها، ورفعت رأسها بتحدٍ ولم يرى على وجهها الخجل، والشعور بالعار، الذي توقعه.

«الا يزعجك أبداً الطريقة التي يتكلم بها الناس عنك؟» سألها.

«أبداً، بما انك الوحيد الذي يفعل هذا» أجابته.

«لا تخدعي نفسك!» قال ضاحكاً:

«هل تريدين ان تعلمي كيف وجدتك أخيراً؟ لقد تنصت الى حديث امرأتين كانتا تتحدثان عنك وعن التشابه بينك وبين والدتك، وطبعاً لم تقصد المظهر».

لقد أفقدها هذا بعض ثقتها، ولكنها أجابت:

www.elromancia.com

«اذا كنت تقصد ستيلا مارتن، فالكل يعلم الاشاعات التي تبتدعها».

«ربما، ولكنها لم تبتدع خبر اقامتك مع ليو، ولن تكون الوحيدة التي تظن بأنك تستغلينه».

«أستغله... كيف؟».

«لتصلي الى السينما عبر الطريقة السهلة» شرح لها الاسترالي رداً على نظرتها المتحيرة.

«هذا هراء! كله هراء! أولاً أنا لا أنوي دخول السينما حتى بالاضافة الى انه لا أحد يرى صداقتي مع ليو على هذا النحو».

«حقاً؟».

«كلا!» قالت وهي تقف بعنف.

أسرع دايفيد بالوقوف وسد طريقها:

«لا تظني بأنك ستهربين مني هذه المرة!».

عادت الفتاة للجلوس وهي تفكر بما يظنه الناس حول اقامتها مع ليونارد الذي يمثل سن والدها. ستيلا مارتن امرأة ثرثارة وكانت دائماً تغار من والدتها وتحاول سرقة أدوار البطولة منها، وهذا ما يدفعها لنشر الشائعات حولها. ولن تتردد الآن وبعد وفاتها من نشر الشائعات حول ابنتها، لابد ان الجميع يصدقونها ويعتبرون سونيا فتاة شاذة تعاشر رجلاً مسناً لتستغله وتسرق ماله. يا الهي، لا يتأخر الخبر في الوصول الى الصحف وستنشر الفضيحة ولن تتمكن الفتاة من رد الشائعات. طبعاً هذا مستحيل أمام ايمان الناس بما تقوله المقالات الهدامة.

وليونارد، كيف سيتلقى مثل هذه الأقاويل؟ سيصيبه منها الشيء الكثير. مهما كان الأمر، عليها ان تجنبه هذا الموقف. ولكن كيف وبأي ثمن؟.

«اذاً؟».

«ماذا؟» انتفضت الفتاة وقد أعادها صوت دايفيد الى الواقع.

«يبدو انك تفكرين بالموضوع؟».

«نعم ولكني لن أرحل معك».

«لأنك لا تستطيعين الانفصال عن ليونارد؟».

«يا الهي! دع ليونارد وشأنه، لا علاقة لك بالأمر، لماذا لا يمكنك ان تصدق انني أعتبره كوالدي».

«وكيف ذلك بينما والدك موجود ويريد رؤيتك؟».

«لأن والدي لم يعرف كيف يختار الرسول المناسب، وأرسل رجلاً متعجرفاً وغبياً مثلك».

«احذري، آنسة» قال مهدداً:

«سأعود غداً لتطلعيني على قرارك النهائي. واذا رفضت سأتصل بالصحف وأنشر عنك كل ما أظنه...!».

«لن تجرؤ على ذلك، لن يصدقك أحد».

انحنى الشاب ورفع وجهها نحوه فلاحظ الخوف في عينيها.

«هل انت متأكدة من ان أحداً لن يصدقني؟» سألها بسخرية وخرج دون ان يضيف أية كلمة أخرى.

قضت الفتاة بقية النهار وحدها تروح وتجيء دون ان تتمكن من الوصول الى قرار يجنبها الفضيحة على

www.elromancia.com

صفحات المجلات، وهي تتساءل اذا كان دايفيد مايسون هذا سينفذ تهديده.

بعد الظهر زارتها صديقتها لورين وتفاجأت كثيراً بتطور الموقف بينها وبين ذلك الاسترالي.

«انت التي أعجبت به أولاً، أم انك نسيتي» قالت لها لورين ممازحة.

«هذا يعطيني درساً جيداً كي لا أحكم على الناس من خلال المظهر فقط».

«لا أصدق ان هذا الشاب اللطيف... استطاع ان يكون فظاً معك».

«ومع ذلك، يريدني ان أرافقه في رحلة طويلة الى استراليا لأعيش معه أيضاً في منزل واحد».

«هل طلبك للزواج!» سألتها ضاحكة.

«ما بك لورين؟ الا يمكنك ان تتبعي كلامي وتفهميه؟ قلت لك انه ابن والدي بالتبني، أي انه يعيش معه، وبالتالي سأعيش معه تحت سقف واحد اذا سافرت الى استراليا، أم انك تعتقدين انني سأترك له منزل والدي الحقيقي، وأنزل في فندق».

«يبدو ان الفكرة بدأت تتخمر في ذهنك، سونيا».

«لست أدري، لورين. لكن السفر سينقذني من ألسن الصحفيين وفي نفس الوقت سيجبرني على تحمل هذا الرجل المتعجرف والذي يعتبر نفسه مسؤولاً عني».

«ووالدك، سونيا؟ الا ترغبين بالتعرف اليه؟».

«لم أشعر مع آرماند غارني بأية عاطفية أبوية خلال

الفترة التي عشتها معه ومع والدتي، وأشعر منذ ان علمت بالحقيقة بالحنين للتعرف الى والدي الحقيقي الذي ظلت والدتي تحبه حتى آخر يوم من حياتها. لكنني في نفس الوقت لست أدري اذا كان بإمكاني العيش معه».

«هذا ليس فرضاً اجبارياً عليك، سونيا، فأنت حرة في البقاء معه أو بالعودة اذا لم تعجبك الظروف هناك...».

وهكذا تمكنت لورين من اقناع صديقتها بالسفر الى استراليا، ونصحها بذلك ليونارد أيضاً وقال لها بصدق ومحبة ان بإمكانها العودة للعيش معه اذا لم تعجبها ظروف الحياة في استراليا بأنه سيستقبلها بالترحاب ساعة تشاء العودة.

في اليوم التالي، جاء دايفيد في الوقت المحدد ولم يكن يبدو متحمساً جداً لاصطحابها معه الى استراليا، وكأنه كان يرغب بأن تعلن له عن رفضها.

«متى نغادر؟» سألته على الفور عندما دخل الصالون.

«الى استراليا؟» سألها بدهشة.

«الا اذا كنت قد غيرت رأيك».

«ولماذا غيرت انت رأيك؟».

لم تكن ترغب بالاجابة على سؤاله، فكبرياؤها أكبر من ان يسمح لها بأن تطلعه بأنها غيرت رأيها هرباً من الفضائح على صفحات المجلات ولأنها لا تملك المال الذي يمكنها من شراء منزل تعيش فيه وحدها وتستغني بذلك عن الاقامة في منزل ليونارد.

«ربما استهوتني الفكرة» أجابته بهدوء.

«انت تعلمين بأن السفر الى استراليا لن يكون مجرد رحلة للمتعة».

«أعلم، ولم أتخيل ذلك للحظة واحدة» أجابته بتهكم.

بدت الخيبة على وجه الرجل الشاب وكأنه كان يتوقع رفضها.

كانت خيبته نابعة من خوفه منها، يخشى ان يتعلق قلبه أكثر بهذه الفتاة الطائشة وبشكل يعجز معه عن التخلص منها.

www.elromancia.com

- ٧ -

خرج دايفيد بعد ان وعدها انه سيمر في المساء لإعلامها بموعد السفر لتستعد وتودع الأصدقاء.

«شدو أحزمة الأمان من فضلكم» ارتفع صوت المضيفة على متن الطائرة.

كانوا على وشك الوصول الى مدينة كاثرين الصغيرة، شمالي المقاطعة، بعد ان قطعا الرحلة الطويلة، وتوقفوا في عدة محطات منها سينغابورة، ولكن سونيا كانت متعبة كثيراً ولم تتمكن من الاستمتاع بأجمل مدن العالم. فكانت قد نامت في التاكسي الذي أقلهما من المطار الى النزل، وساعدها دايفيد بالصعود الى غرفتها اذ انها كانت تترنح على الدرج، فحملها، للحظة أحست بأنها غير قادرة على التنفس، ثم انتفضت محتجة:

«ماذا تفعل؟».

«أحملك، وماذا ظننت غير ذلك؟» أجاب دايفيد ببرود وعندما وصلا الى غرفتها لم يعد باستطاعت سونيا التحمل.

«باستطاعتك ان تنزلني الآن».

«حقاً؟» قال متعمداً اللامبالاة دون ان يلبي أمرها.

في تلك اللحظات شعرت بقربها منه، واستطاعت ان تشتم عطره الذي ملأ حواسها، ونفسه الحار على جلدها.

«من فضلك دايفيد انزلني» قالت أخيراً بصوت متنهد.

وظلت تلك النظرة الغريبة في عينيه حتى بعدما أنزلها مما جعلها تسأل بعصبية:

«هل من خطب؟».

فأجابها وكأنه عاد من عالم آخر:

«لا، كنت فقط أفكر كم انك خفيفة و... كأنك طفلة».

«حسناً، أنا لست طفلة!» أجابت.

ولكنها لم تشعر بتحسن عندما وافقها:

«أجل، أنا لا أظن انك لا تزالين طفلة. ولكن ربما لو كان الحال كذلك لكانت الأمور أسهل».

«أسهل؟» تعجبت.

«أعني ان أعاملك كما طلب مني بادي».

«وماذا طلب بالتحديد؟».

وجعله السؤال يبتسم قائلاً، كأختي الصغيرة بالطبع».

«وأنا لست أختك الصغيرة كذلك» أجابت بحدة.

«لا تخافي، ليس لدي أية مشاعر أخوية تجاهك» أكد

لها ساخراً.

«لم أظن ذلك أبداً، بالواقع، لقد أوضحت كرهك لي تماماً». ردت عليه.

«كره؟ أوحقاً تظنين ان هذه هي مشاعري تجاهك؟».

«حسناً، لامبالاة اذا أردت».

«كلا، لا كره ولا لامبالاة، أنا فقط أتمنى لو انك شخص آخر».

قال لها وهو ينظر اليها تلك النظرة ثانية.

حاولت سونيا ان تعرف ماذا يدور وراء هذه النظرة وان تقرأ أفكاره، لتعرف ماذا يعني بهذه الكلمات، الا ان الأوان كان قد فات اذ انه استدار وخرج من الغرفة. كيف يدعي بأنه لا يكرهها بينما هو يتصرف على هذا الأساس كل الوقت؟ ولكنه ذهب وتركها محتارة بأمرها.

شعرت بالارتياح عندما بدأ النهار التالي بغضبه المعتاد، اذ كانوا قد تأخروا في الذهاب الى المطار، وطبعاً جعلها تحمل الذنب. وطبعاً تجاهلها كل مدة الرحلة الى كاثرين.

وتذكرت وصف رفيقتها لورين لدايفيد بالنوع اللطيف، والرجل الكامل، وتساءلت مبتسمة ان كانت تحسدها لأنها ترافقه الى استراليا.

«وما هي النكتة؟» سأل دايفيد عندما لاحظ ابتسامتها.

«أبداً» ردت ولكنها أحست بالذنب:

«كنت فقد أتساءل كيف هي الحياة هناك؟».

نظر الها بشك قبل ان يجيب:

«انه جاف وحار...».

www.elromancia.com

«كل الوقت؟» قالت بشك.

«في الصيف رطب قليل الجفاف، واحياناً تهب الأعاصير» أضاف راسماً لها صورة غير مريحة.

واستغرقت سونيا بالصمت وقررت بأنها سترى المكان بنفسها وتحكم... ولكن عندما نزلت أرض المطار ورأت المباني الحيطة، ووجه دايفيد العابس، علمت انها اقترفت أكبر غلطة في حياتها. ما كان عليها أبداً ان تدع الاشاعات تدفعها الى الهرب مع رجل لا يفوت اي فرصة ليظهر لها كم هو يكرهها. لماذا لم تتنبأ بما قد يحل بها من قبل، في هذه البقاع المتوحشة وأناسها القساة؟ وماذا لو كان كل الباقين سيعاملوها كما يعاملها دايفيد وكأنها انسانة بلهاء غريبة الأطوار؟.

التقيا في المطار بالمسؤول عن الماشية الذي كان ينتظرهم بين الجموع. انه رجل طويل، لوحت الشمس بشرته، يرتدي ثياباً باللون الكاكي. قامته تشبه قامة دايفيد قليلاً ولكن شعره أغمق وهو أقل وسامة. وعلى ما يبدو ان الاثنين أصدقاء، هذا ظاهر من سلامهما الحار، ولم يلاحظها الرجل اذ انه بدأ يتبادل النكات مع صديقه والحديث عن جمال الآنسات الفرنسيات عندما أدار دايفيد رأسه باحثاً عنها كانت تلحقه على بعد خطوات ولكنها تستمع الى كل كلمة يقولها. نظر دايفيد اليها وكأنها متاع مزعج يحاول نسيانه، وعندما لاحظها الرجل الآخر حدق بها فاغراً فاه. عرفه دايفيد بها باختصار:

«جيف، هذه سونيا».

«كيف حالك آنستي؟» سألها جيف وهو يتأملها ومعجبا بجمالها.

«هل انت هنا بعطلة؟» سألها محاولاً ان يستكشف من تكون.

«نوعاً ما» أجابت باختصار تاركة الشرح لدايفيد.

«ألم يذكر بادي سونيا أمامكم؟» ثم تابع عندما هز الرجل الآخر رأسه نافياً:

«انها قريبتنا».

«حقاً؟» قال بدهشة، وأعاد نظره الى الفتاة. ان جواب دايفيد فاجأها أيضاً فنظرت اليه نظرات متسائلة.

«أتعلم» تابع جيف وهو يتأمل وجهها:

«الآن أستطيع ان أرى الشبه بينها وبين بادي، العينان والفم».

حاول دايفيد تغيير الموضوع:

«كيف أتيت جواً أم براً».

«براً، فإن احدى الطائرات ذهبت لأحد المخيمات والأخرى في التصليح. لقد أحضرت أفضل جيب، سأذهب لآتي به كي أوفر عليكم المشي».

وعندما ابتعد جيف نظرت الفتاة الى دايفيد بغضب:

«لماذا لم تقل لجيف الحقيقة؟».

«أية حقيقة؟» سألها.

«بأنني ابنة بادي».

«أوكنت تفضلين ذلك؟» سألها وهو ينظر اليها وهي تعض شفتها وأضاف بهدوء:

«اسمعي، اذا أردت اقول له».

«كلا، لا داعي، يمكنني ان أبقى متسترة قليلاً بعد».

نظر اليها وكأنه يعلم تماماً بماذا تشعر:

«حسناً، انت لست الابنة الوحيدة، الغير شرعية في العائلة».

«أتعني انك...» قالت والدهشة على وجهها.

«نعم» رد دايفيد وتبادلا للحظة نظرة ملؤها التفهم، ثم ابتسم بتهكم.

«على الأقل، نحن نملك شيئاً مشتركاً!».

«أجل، صحيح» أجابت سونيا مبتسمة، ولكنها كانت تفكر بأن هذا حتماً لا يكفي لبناء صداقة بينهما. وكانت تتساءل ما الذي دفعه لمثل هذا الاعتراف؟ بالطبع ليس ليخفف عنها!.

أخذت تنظر حولها خلال رحلتها في الجيب، الطبيعة تبدو موحشة والتلال والصخور جرداء. لقد زارت مع والدتها بلداناً كثيرة وتعرفت الى بيئات مختلفة، لكن هذه المنطقة مختلفة عن كل ما كانت قد رأته حتى الآن. ماذا لو كانت المزرعة بدائية وظروف الحياة قاسية؟ تساءلت وهي تنظر بطرف عينها نحو دايفيد. لكن أناقة دايفيد وثقافته تدل على انه عاش في بيئة حضارية. على كل حال لن تبدي انزعاجها أمام دايفيد كي لا ينعتها بابنة النجمة السينمائية المدللة.

كانوا قد قطعوا مسافة طويلة وبدأت الفتاة تشعر بالتعب.

«الا نزال بعيدين عن المزرعة؟».

«لا يزال أمامنا ستة أميال» أجابها جيف.

«هل المزرعة كبيرة؟».

«تبلغ مساحتها خمسة آلاف مربعاً». أجاب جيف أمام صمت دايفيد.

«أتعتمد على الزراعة؟».

«تعتمد أكثر على تربية المواشي».

«حقاً؟» سألته بدهشة.

«نعم» خرج دايفيد عن صمته:

«المزرعة كبيرة وعدد المواشي ضخم» أضاف بسخرية وكأنه يحاول ان يطمئنها اعتقاداً منه ان حبها للمال هو الذي دفعها للمجيء وليس حبها لوالدها ورغبتها برؤيته. ثم غير الموضوع وأخذ يسمي لها المناطق التي يمرون فيها.

عندما وصلوا الى المزرعة، تفاجأت سونيا كثيراً اذ ان المزرعة لم تكن صغيرة كما تصورتها فهي ممتدة على مساحة واسعة على امتداد النظر وتنتشر فيها المنازل الصغيرة بالاضافة الى منزل صاحب المزرعة المؤلف من طابقين والبعيد عن بقية المنازل.

توقفت نظرات الفتاة على الرجل الذي خرج عندما سمع هدير السيارة لاستقبالهم وهي تتساءل كيف ان هذا الرجل الغريب أصبح فجأة والدها.

وقف دايفيد أمام باب السيارة ينتظر نزولها بفارغ الصبر بينما اهتم جيف بانزال الحقائب.

«خائفة؟» سألها بسخرية.

هزت رأسها قليلاً.

«نعم».

«خائفة من ان يخيب أملك؟».

يا له من رجل فظ يتعمد دائماً اغضابها. قالت لنفسها وهي تنظر الى الرجل الذي يقترب منهم.

«لا تقلقي، سيكون كل شيء على ما يرام. أعدك بذلك» قال وهو يمد يده نحوها ويساعدها على النزول.

تفاجأت الفتاة بالشبه الكبير بينها وبين والدها ووقفت أمامه مرتبكة لا تدري ماذا تفعل. وأخيراً مدت يدها نحوه فبادر الرجل بضمها الى صدره بحنان بالغ.

«سونيا... يا صغيرتي...».

- ٨ -

ترددت الفتاة في ان تنادي بالكلمة التي ينتظر سماعها.

«منذ سنوات طويلة وأنا أنتظر هذا اللقاء».

«أعرف حقيقة شعورك» اعترفت بخجل.

وضع ذراعه حول كتفها واتجها نحو المنزل، لكنه لاحظ بعد لحظات ان دايفيد لا يزال واقفاً أمام السيارة. فناداه وعندما اقترب الشاب منهما وضع ذراعاً حول كتفي كل منهما ودخلا المنزل.

«شكراً لك يا بني لأنك تمكنت من احضارها».

كان جيف قد سبقهم الى الفيللا ووقف ليستقبلهم مع فتاة في الثلاثينات من العمر شقراء طويلة وجذابة أسرعت على الفور ووقفت بجانب دايفيد.

«سونيا، أقدم لك بات مارتن ابنة السيدة مارتن مدبرة،

www.elromancia.com

بات، اقدم لك ابنتي سونيا» قام السيد بادي مايسون بالتعريفات بابتسامة عريضة مشرقة.

على الفور تغيرت نظرة بات نحو الفتاة وكأنها تلقت صفعة قوية، بينما ظهر التعجب على وجه دايفيد من اعلان السيد مايسون الوالد الصريح. لكن هذا الاعلان الصريح جعل سونيا تشعر بالراحة والاطمئنان، فوالدها ليس خجلا من وجودها معه.

«يا للمفاجأة!» قالت بات بنظرة غيرة وحسد:

«لم أكن أعلم ان لك ابنة».

«كانت سونيا تعيش في هولندا مع عائلة والدتها» قال دايفيد منقذا الوضع، فشكرته سونيا في قلبها لموقفه.

«اذاً هي أختك» علق جيف بعد ان أفاق من الصدمة.

«كلا» نفى دايفيد بشكل زاد من حيرة جيف وبات.

«انها ليست أخته الحقيقية» تدخل والدها.

«نعم، فإن دايفيد ابنك بالتبني» قال جيف وقد احمر وجهه ولاحظ ان موقفه أصبح محرجاً ثم استأذن.

«أرجو ان لا أكون تدخلت فيما لا يعنيني» قالت بات مبتسمة نحو دايفيد.

«الأفضل ان ترافقي الآنسة سونيا الى غرفتها لترتاح قليلاً» قال دايفيد لبات ثم انسحب بدوره.

تبعتها سونيا الى الطابق العلوي.

«أظن انك تريدين ان ترتاحي قبل ان تلقي نظرة على المنزل».

قالت بات وهي تتأمل الفتاة من رأسها حتى أخمص

قدميها.

«نعم، شكراً».

«هذه غرف النوم. غرفتك تلك التي في آخر الممر».

تفاجأت سونيا بأثاث الغرفة الذي لم يكن يقل فخامة عن أثاث الصالون وغرفة الجلوس في الأسفل. أرض غرفتها مغطاة بسجادة زرقاء وأثاث الغرفة عصري متناسب مع الزهور البرية التي في اناء الزهور.

«انها رائعة» قالت سونيا مأخوذة بجمال وترتيب الغرفة.

«لقد أحضر السيد بادي الأثاث من العاصمة، لكنه لم يقل لماذا يهتم بهذه الغرفة. للحقيقة، اعتقدت انه سيتزوج مرة ثانية» قالت بات بلهجة متعالية:

«ولكنني أظن بأنه كان يعلم بأنك قادمة».

«نعم، كان يعلم» قالت سونيا وهي تشعر بالذنب لأنها لو لم ترافق دايفيد لكان كل هذا الاهتمام سيضيع هدراً وسيخيب أمل والدها.

«هذا الصباح فقط، قال السيد بادي ان دايفيد سيعود مع ضيفة الى المنزل».

«حقاً؟» سألتها سونيا وقد أدهشها موقف بات منها.

«أظن ان دايفيد سافر الى أوروبا لهذا السبب، ليصطحبك معه».

لم ترغب سونيا بالاجابة، فبدأت بفتح حقيبتها.

«للحقيقة...» أضافت بات:

«تفاجأت كثيراً بفكرة ان يكون للسيد بادي ابنة. متى كانت آخر مرة زرت فيها استراليا؟».

«انها الزيارة الأولى...».

في هذه اللحظة دخل السيد بادي والتفت نحو بات وكأنه يريد ان ينهي هذا الحديث الذي يجرح ابنته.

«ألن تساعدي والدتك في اعداد العشاء؟».

«عن اذنكما» قالت باستياء ظاهر وغادرت الغرفة.

جلس الوالد على طرف السرير بجانب ابنته وابتسم بحنان.

«أظن انها كانت تطرح بعض الأسئلة الحساسة؟».

«نعم، كانت تحاول احراجي» أجابته ابنته بنفس الابتسامة.

«انها غلطتي أنا كما يقول دايفيد» قال بادي متنهداً:

«كان ينصحني قبل سفره بأن أخبر الناس بوجودك قبل وصولك».

«ولماذا لم تفعل؟».

«بصراحة، لم أكن أريد ان يعرف أحد بوجودك الا بعد وصولك خوفاً من عدم مجيئك. حتى عندما أرسل دايفيد تلك البرقية التي تعلن عن موعد وصولكما، بقي لدي شعور بالخوف من ان تغيري رأيك في اللحظة الأخيرة».

«للحقيقة... لم أكن متحمسة للمجيء...» قالت بصراحة:

«ولكني لو كنت أعلم ان والدي رجل طيب لهذه الدرجة، لما ترددت لحظة واحدة» أضافت مبتسمة.

«المهم انك هنا بجانبي، يا ابنتي».

«في الماضي، كنت أشك بالأمر من خلال أشياء قالتها

لي جدتي...».

«ألم تكلمك والدتك عني؟».

«لا، ولكن ليونارد كان يعلم وقال بأن والدتي كانت تنوي ان تطلعني على الحقيقة...».

«ليونارد داريل؟ انه صديق قديم لوالدتك و...».

«نعم، أعتقد ان دايفيد ذكره في احدى برقياته».

«أعلم، وأعلم كذلك الى ماذا كان يلمح».

«لكنه قام باستنتاجات خاطئة، أعني عندما ظن بأنني وليونارد...».

«لا داع للتبرير، يا ابنتي» قال والدها بلطف وهو يضع يديه على كتفيها:

«شعرت منذ البداية انه قد أساء الفهم».

«أجل، لقد فعل!».

«لا بد انك أوضحت له خطأه».

«لكنه لا يصدق».

«وكيف تسير الأمور بينكما منذ ان تعرفت عليه؟».

«لا تسير على ما يرام، وأتمنى ان لا أكون مجبرة على تحمله...».

ضحك والدها وضمها الى صدره بحنان.

«لا تهتمي للأمر، سونيا، ستتغير علاقتكما عندما تتعرفان أكثر على بعضكما».

«ربما» قالت سونيا بشك.

تركها بادي بعد ان طبع قبلة على خدها. أنهت سونيا توضيب ثيابها واستلقت على السرير ولكنها سرعان ما

غرقت بالنوم. عندما استيقظت كان الظلام قد عم في الخارج، فأخذت دوشاً سريعاً وغيرت ثيابها، ثم نزلت تستطلع باقي المنزل. دفعت أول باب على يمينها واذا بها غرفة الجلوس ذات الأثاث القديم. واتجهت نحو البيانو حيث وضعت مجموعة من الصور. ولفتت نظرها صورة لدايفيد في طفولته والى جانبها صورة التقطت حديثاً له. وكانت تبتسم عندما ظهرت بات مارتن.

«ها انت ذا» قالت المرأة الاسترالية.

«كنت أنظر الى الصور» أجابتها وهي تعيد الصورة الى مكانها.

لم تجب بات، ولكنها اقتربت وأعادت الصورة جيداً الى مكانها:

«الرجال بانتظارك في غرفة الطعام» قالت تاركة سونيا تلحق بها في الممر.

رحب بها بادي وأشار الى الكرسي الذي الى يمينه.

«آسفة اذا أخرت العشاء» قالت وهي تجلس.

«أبداً» رد بدفيء:

«لقد عرض دايفيد انه من الأفضل ان ندعك ترتاحين ساعة».

نظرت سونيا الى دايفيد في الجهة الأخرى من الطاولة، وفكرت انه لابد كان سعيداً لغيابها عن المائدة.

«على أي حال، بات معتادة على مواعيد الطعام المتقلبة، ولا أحد يضاهيها براعة في الطهي» قال وهو ينقل ابتسامته الى بات، الا ان وجهها بقي متحجراً.

وحاول بادي ثانية:

«لقد وضعت فقط ثلاثة صحون، الن تتناولي الطعام معنا؟ انت على الرحب دائماً كما تعلمين».

«كلا، شكراً» أجابت بغرور:

«علي ان أذهب الآن».

لقد حاول بادي، ولكن دون جدوى، وقد أرسلت له سونيا نظرة متعاطفة عندما استدار نحوها.

«ماذا بها؟» سأل دايفيد عندما غادرت الفتاة الغرفة.

«ماذا؟» أجاب بادي بلهجة البراءة التي لم تخدع دايفيد اذ تابع:

«من الواضح ان شيئاً ما أزعجها» والتفت الى سونيا وكأنه يتهمها بذلك:

«بالعادة هي تأكل معنا».

«حسناً، ربما حصل سوء تفاهم» اعترف بادي:

«أخشى ان تكون بات قد ضايقت سونيا قليلاً».

«تضايقها؟» قال متسائلاً:

«هذه ليست من عادات بات».

«لا تضايقك انت ربما» قال بادي بابتسامة خفيفة:

«اذ ان بات دائماً زائدة اللطف عندما يتعلق الأمر بك».

«حقاً؟ أنا لم ألاحظ ذلك».

«حقاً، يا لأسف بات».

عبس دايفيد:

«وماذا يعني ذلك؟».

نظرت سونيا الى طبقها مبتسمة وهز بادي رأسه وهو

www.elromancia.com

يحول انتباهه الى طبقه، الا ان دايفيد لم يترك الموضوع وقال موجهاً الكلام الى سونيا:

«حسناً، لا يهم من المذنب، آمل ان تحاولي ان تتفقي مع بات، اذ من دونها ستجدين الأمور صعبة عليك في هذا المنزل، لأن والدتها أصبحت امرأة مسنة».

شكت سونيا بكلامه ولكنها اكتفت بالقول:

«أنا بالكاد خاطبت المرأة».

«ربما كانت هذه هي المشكلة، في استراليا نحن نعامل خدامنا كبشر، وليس كعبيد» قال بلهجة محاضرة.

«حقاً؟» قالت متصنعة الدهشة:

«نحن في هولندا لا نملك خدماً كي نعاملهم باحدى الطريقتين».

- ٩ -

امتقع وجه الشاب لهذا الجواب الذكي، وحاول بادي التدخل ليسألها عن المدة التي أقامتها في هولندا محاولاً تغيير الأجواء. أطاعت سونيا وراحت تحدثه عن هولندا وعن الأماكن هناك، وظهر انه رغم مرور كل تلك السنين بعيداً، لا يزال بادي يملك حنيناً كبيراً لوطنه.

«بالطبع عليك بالحذر وعدم التغني كثيراً ببلدنا أمام استرالي المولد» قال بادي ملتفتاً نحو دايفيد:

«وإلا سيسألونك لماذا تركت هذا البلد في الأساس. عندها ستضطرين للإعتراف بأنه بالرغم من جماله، اضطررت لمقايضة الفقر بالوعد في أرض جديدة» أنهى كلامه بلهجة جدية.

توقف الحديث عندما ظهرت بات مارتن وهي تحمل

www.elromancia.com

الطعام، ولا تزال على حالها من التجهم، ولكن سونيا حاولت الملاطفة:

«الحساء كان رائعاً، بات».

ولكن ذلك لم يحظ الا بكلمة شكراً مختصرة، دون اي ابتسامة بينما كانت تقدم اللحم. ولكن سونيا حاولت ثانية:

«دعيني أساعدك بات» ولكن قبل ان تتمكن من الوقوف للمساعدة قالت المرأة الثانية:

«لا حاجة، أستطيع تدبر أمري تماماً» لقد كان واضحاً تماماً من الذي يتصرف بحماقة، ولكن عندما خرجت، قال دايفيد:

«ليس عليك المبالغة بهذه التصرفات».

«انت من قال لي ان أفعل جهدي» ذكرته:

«ربما عليك ان تقول لصديقتك الشيء نفسه».

«من؟» أعاد دايفيد بصوت مرتفع.

«لقد سمعتني» ردت سونيا مما أثاره أكثر.

تدخل بادي ثانية مقاطعاً الحديث:

«دعونا لا نتجادل حول بات» قال لهما:

«ان ذلك يعود الى كبريائها، فإنها تعتبر ان البيت من اختصاصها، ووجود امرأة أخرى يزعجها».

«أنا أرى انها على حق من هذه الناحية، البيت يجب ان يكون من اختصاصها» قال دايفيد.

«اذا كان هذا رأيك، لماذا لا تحاول افهامها؟» قال بادي وعلى شفتيه ابتسامة مكر.

«كنت أحاول» ولكن أفكاره كانت قد أخذت طريقاً

آخر:

«حسناً، ربما عنيت المساعدة فعلاً. ولكن من الأفضل ان تتركي الأشياء لبات، ان مدبرات المنازل الجيدات نادرات في هذه النواحي، ولا أريد ان تترك المنزل، تخيلي كيف يمكن ان يكون بدونها، هل فهمت؟».

«تماماً؟» ردت سونيا.

ولكن دايفيد أفاض في الكلام:

«فإذا انصرفت بات سنضطر للإعتماد عليك في الطبخ والتنظيف لنا» اقترح بضحكة جافة وكأنه يستبعد قدرتها على ذلك.

وضحك بادي قبل ان يلاحظ حدة سونيا عندها قال:

«انه يمزح فقط يا عزيزتي، نحن لا نريدك ان تمضي وقتك هنا في المطبخ، بل نريد ان تمتعي بوقتك بهذا البلد الجميل ومع الناس الطيبون».

فكرت سونيا كم ان دايفيد مخطىء بشأنها، فهي ربة منزل ممتازة، وجدتها علمتها كل شيء حتى انها استلمت تدبير المنزل كله عندما مرضت جدتها، ولكنها بالطبع لن تقول هذا له، فهي ليست بموقع المنافسة مع بات، فابتلعت غضبها وقالت:

«كم شخص يعيشون هنا في هذه المزرعة؟».

«ما فوق الستين شخصاً» أجاب بادي، وراح يشرح لها عن سير عمل المزرعة وعن المسؤولين عندما رأى الاهتمام في عينيها، وكذلك عن مزرعتين أخريين يمتلكهما. وعند انتهاء العشاء جلس بادي على الشرفة وراح يحدثها عن

الحياة البسيطة التي يعيشها العمال هنا، يعملون من الفجر الى المغرب ويمضون سهرتهم بشرب البيرة ولعب الورق. ولكن سونيا كانت تقدر هذا النوع من الحياة اذ ان العديد من الأغنياء الذين قابلتهم في حياتها يمتلكون كل شيء ولكن مع ذلك هم لا يشعرون بالرضى الذي يتمتع به هؤلاء. ولكنها علمت ان لا مكان لها هنا. مع الوقت من الممكن ان تحب بادي مايسون أكثر فإن هذا ليس أمراً صعباً بتاتاً، حتى انها يمكن ان تحب هذه الطبيعة الموحشة ولكنها أبداً لن تستطيع التفاهم مع دايفيد مايسون هذا.

ربما سيكون الأمر تماماً كما خططت، تبقى هنا شهراً أو شهرين حتى يصلها خبر قبولها في الجامعة، أو تعود الى باريس لايجاد عمل ما في حال لم تقبل، ولكن في كلتي الحالتين هي تنظر الى وجودها في استراليا على انه مؤقت.

لسوء الحظ، كان بادي يفكر بطريقة مختلفة، فقد كان يتحدث عن أماكن سيزوراها سوياً بعد انْ تخف حرارة الجو وكأنه كان يتوقع منها ان تبقى هنا بعد تشرين الثاني. كانت سونيا تبحث عن الكلمات المناسبة لكي تقول له انها لن تكون هنا عندما جاء دايفيد والى جانبه بات وقد تغير وجهها تماماً، كأنها أصبحت شخصاً جديداً:

«ليلة سعيدة بادي، ليلة سعيدة سونيا» قالت وهي تمر أمامهما مما أدهش سونيا أكثر.

«ليلة سعيدة بات» قال بادي مبتسماً.

«ليلة سعيدة» أجابت سونيا.

«من الواضح انها لم تكن بحاجة لمجهودنا نحن كي

ترضى» قال بادي بعد ان ابتعدا وهو يبتسم ابتسامة ذات معنى.

«من الواضح» وافقت سونيا، ثم أضافت متسائلة:

«الا تنام بات هنا في المنزل».

«ليس بعد، ولكن هذا ما تخطط له» وتابع بادي بصوت منخفض:

«تقيم حالياً مع والدتها التي بحاجة لبعض العناية. للحقيقة المشكلة تكمن في دايفيد، انها تحاول أقصى جهودها لتوقعه بشباكها منذ ثلاث سنوات، وأنا أظن بأنه ان لم يكن قد وقع بحبها حتى الآن فهو لن يقع أبداً، ما رأيك؟».

ترددت بالاجابة عندما سمعت وقع خطوات دايفيد يعود.

«لم تغب طويلاً» قال بادي لدايفيد عندما جلس معهما على الشرفة.

«لا» قال باختصار. ولكن ذلك لم يمنع بادي من المتابعة:

«لقد بدت بات بمزاج أفضل».

«لقد شرحت لها الأمور» قال ناظراً الى سونيا.

«من المفترض ان الوضع سيكون حساساً» تنهد بادي ملتفتاً نحو ابنته:

«أخشى انك ستتلقين نظرات غريبة خلال الأيام القادمة. لن نستطيع تحاشي هذا، يجب ان تطلعيني اذا حاول أحد ازعاجك عمداً».

«حسناً» قالت سونيا وهي تعلم انها لن تفعل هذا أبداً.

«سأذهب للنوم الآن» وقام عن كرسيه.

«سأرافقك» تطوعت سونيا وهي تهب واقفة.

«لا، لا سأتدبر أمري، ابقي هنا مع دايفيد» وابتسم لكليهما ودخل المنزل.

وجدت سونيا نفسها مجبرة على الجلوس ثانية، ونظرت الى ساعتها وقررت ان تجلس بضع دقائق قبل ان تدخل بدورها. لاحظ دايفيد الحركة وعلم انها تتوق للدخول. ان هذا لا يدهش أبداً بعد ما حصل بينهما ذلك اليوم. وهو بدوره لا يزال غاضباً. فقبل بدء العشاء كان بادي يتحدث عن مدى لطف الفتاة وحسن تصرفها، ثم انتقل ليعظه بلطف بألا يحكم على الناس سريعاً، عن الخطأ الذي وقع فيه عندما حكم على العلاقة التي بين سونيا وصديق العائلة التي كانت تقيم معه ويهتم بها. بالطبع دايفيد لم ير أبداً انه على خطأ. وعاد الى ذاكرته ذلك العناق الحار الذي تبادلاه في مطار نيس، لم يكن أبداً عناقاً بريئاً، بالاضافة الى ذلك السوار الذي أهداها اياه الرجل كهدية وداع. لقد أزعجه ذلك حقاً، وهو يزعجه الآن عندما ينظر الى يدها ويرى ذلك السوار، لا شك انها استطاعت ان تقنع بادي بأنها تلك الفتاة البريئة. وعندما رأى تصرفها على العشاء، لم يشك أبداً انها قادرة على اقناع والدها بأي شيء، لقد كان الرابط بينهما أقوى مما تصور، واستياؤه يزداد لذلك أكثر وأكثر.

ولكن لماذا هذا الاستياء؟ لقد رأى انها فتاة مدللة أفسدتها أموال والدتها وهي أبداً لن تتأقلم مع المزرعة

والقطعان، ولن تستهويها الحياة هنا، ولذلك لا يجب ان يدع بادي يتخيل ان ابنته هي تلك الفتاة البريئة التي يتصورها. لن يسمح لها بخداعه بابتسامتها البريئة.

جلس يراقبها وهي جالسة تنظر الى الجهة الأخرى تتجاهله وتلعب بالسوار في يدها.

بعد قليل، قررت الفتاة انه لا يوجد ما يتحدثان به فنهضت تريد الصعود الى غرفتها، لكن دايفيد أمسك يدها ودفعها للجلوس ثانية على كرسيها.

«يبدو ان بادي أعجب بك بسهولة» قال باستهزاء.

«يسعدني ذلك» أجابته ببرود.

«كان يجب ان تتجهي نحو التمثيل، فأنت تبدين فاتنة ببراءتك عندما تريدين».

«شكراً».

«لم أكن أقصد الاطراء» قال بحدة.

«اوه، حقاً؟» قالت بدهشة مصطنعة مما زاد من حنقه.

«اذا استطعت ان تخدعي بادي فأنا لن يخدعني مظهرك».

«من الواضح انك نادم على قبولي المجيء معك».

«لأنني أشفق على والدك. كما وانني لا أعتبر المظاهر ميزات جيدة».

«هذا واضح» قالت بسخرية.

«ماذا تقصدين؟».

«لا شيء، لكن مظهر صديقتك بات يعجبك حتماً».

«اذا كنت تقصدين صراحة بات فاعلمي انني أحب

الصدق».

«تقصد انني بعيدة عن الصدق؟».

«أليس هذا ما تظهرينه وانت تحاولي اقناع بادي بأنك فتاة بريئة؟».

«انت تشير بالتأكيد الى علاقتي مع ليونارد. لقد أخبرتك الحقيقة، وكذلك أخبرت والدي بأنك أسأت الفهم، وكان والدي متفهماً على عكسك انت» أجابت بعصبية.

«هذا واضح، فهو يصدق كل ما تقولينه».

«بينما انت لا».

«طبعاً، ولكن لا تقلقي.. لن أطلعه عن كل ما عرفته عنك وخاصة عن مغامراتك في المدرسة الثانوية».

«يا لك من شهم!» قالت بسخرية:

«ولكن لماذا؟».

«لا أحب ان أرى ملامح الخيبة على وجه بادي. سأحتفظ بما أعلمه عنك ولكن بشرط...».

«شرط ان تخبري بادي بأنك لا تنوين الاقامة الدائمة هنا».

«أيزعجك وجودي لهذه الدرجة؟».

«أبداً. ولكنني لا أريد ان تسببي له المشاكل».

«أية مشاكل؟».

«مع العمال. فكما تعلمين، أكثرهم من الرجال وانت معتادة على...».

«كفى دايفيد» صرخت وقد نفذ صبرها:

«يبدو انك تسيء فهمي وتتعمد اغضابي. لست كما

تظن ولن أتلقى منك الأوامر ولن أكون تحت رحمتك. هذا والدي في غرفته، بإمكانك ان تذهب اليه وتخبره بكل ما تعلم مع ان كل تلك القصة ليست صحيحة. لن أشرح لك أكثر لأنك لست مستعداً للفهم، وأنا بالتالي لا أهتم لرأيك. تصبح على خير».

ونهضت على الفور. حاول دايفيد ايقافها لكنها دفعته بقوة وصعدت الى غرفتها.

بدلت ملابسها والدموع تنهمر على خديها. لماذا يتعمد هذا الشاب اهانتها واغضابها؟ تساءلت وهي ترمي بنفسها على السرير. أيعتقد انها تسلب منه حب بادي وتحتل قلبه تدريجياً لتسيطر على كل شيء وتحرمه بالتالي من الميراث الذي كان سيحصل عليه وحده لولا وجودها؟ انه مخطىء بالتأكيد لأنها لم تأت طمعاً بالمال ولا حباً بوالدها في بادىء الأمر، ولكن دافعها الوحيد كان خوفها من الفضائح، خاصة وانه لا يمكنها ان تقف في وجه الصحافة وتنكر ما تكتبه.

لكنها هنا وفي منزل والدها بالتحديد، يمكنها على الأقل ان تعترض وتنكر ما يمكن لدايفيد ان يقوله عنها خاصة وانها لم تفعل ما يوجب اللوم.

لقد جنبت نفسها حتى الآن كل ما يمكن ان يسيء لسمعتها، فابتعدت عن الأصدقاء ورفضت أية علاقة مع الشبان كي لا يقال بأن هذه الابنة تشبه أمها. ولذلك، لن تسمح لدايفيد بابتزازها طالما انها متأكدة من نفسها وواثقة من براءتها من كل ما يتهمها فيه.

كان والدها قد خرج باكراً مع جيف عندما استيقظت الفتاة ونزلت الى المطبخ وكانت قد ارتدت بنطلون جينز وبلوزة قطنية.

وضعت ابريق القهوة على النار ووقفت تتأمل الطبيعة الممتدة أمامها من النافذة، وهكذا لم تنتبه عندما دخل دايفيد.

«هل أعجبتك طبيعة بلدنا؟» سألها وهو يقف امام الباب.

«سأعتاد عليها كما اعتاد عليها والدي من قبل» أجابته ببساطة دون ان تلتفت نحوه وسكبت لنفسها فنجاناً من القهوة.

«اذا كنت تريد فنجاناً من القهوة، فاسكب لنفسك واحداً». أضافت ملتفتة نحوه أخيراً.

- ١٠ -

سكب دايفيد فنجاناً له وجلس مقابلها حول الطاولة.

«أفهم من كلامك انك مصممة على البقاء هنا».

«قد أبقى، نعم» أجابته بنفس الهدوء.

ضحك دايفيد ضحكة جافة وقال:

«مستحيل، سترحلين حالما تحصلين على ما جئت من أجله».

عبست عندما تذكرت حديثه عن المال ومردود المزرعة، عندها علمت ماذا يعني.

«ولا أظن انك ستحتاجين لوقت طويل كي تكسبي ود بادي» تابع كلامه:

«لكن أحذرك من الآن، ان معظم أمواله مستثمرة في المزرعة، فلا تكوني جشعة».

www.elromancia.com

واحمرت وجنتاها غضباً:

«وهل حقاً تظن انني أسعى للحصول على المال؟».

«أجل، اما المال، واما الحصول على حصة في المزرعة».

«هذه الأرض المقفرة، لابد انك تمزح» قالت سونيا باحتقار:

«أنا لا أقبل بها ولو هدية، وبالنسبة للمال، أنا أستطيع الحصول على ما أريد من ليونارد، انه يحصل في السنة على ما يستغرقكم خمس سنوات للحصول عليه من هذا المكان».

احتدت عينا دايفيد للإهانة، فقد كان يحب هذه الأرض كثيراً:

«اذاً، ربما كان من الأفضل لك البقاء معه اذا كان كريماً لهذه الدرجة. قولي لي، كيف كان يدفع لك لقاء خدماتك؟ بالساعة أم بالدقيقة؟».

هزت وقاحة السؤال سونيا:

«لا تكن مقرفاً!» ردت عليه ووقفت، الا انه تحرك بسرعة ووقف سادّاً الباب:

«أتوقع انه يدفع لك بالدقيقة... فبعمره هذا...» أضاف بوقاحة ثم قطعت كلامه.

«اصمت» قالت بصوت حاد ومنخفض.

«كلا، أريد ان أعلم» قال ممسكاً ذراعها عندما حاولت المرور:

«كيف كان الأمر عندما تذهبين الى السرير مع رجل كبير

السن مثله؟ ان تدعيه يمارس الحب معك؟ اذا استطعنا ان نسمي ما كنتما تقومان به بحب».

«بالتأكيد أفضل بكثير من ممارسة الحب معك» قالت وهي ترد الصاع صاعين:

«على الأقل فهو لا يفرض نفسه على النساء لأنه ليس مضطراً ليفعل ذلك».

«وهذا يعني بأنني أفعل ذلك؟» قال بلهجة خطرة، الا ان الفتاة لم تقبل أي تهديد وقالت:

«لا تستطيع ان تقول انني كنت أشجعك وأستجيب ذلك اليوم عند البركة».

«بل لقد فعلت» أجابها:

«ربما قاومت في البداية، ولكن هذا كان كل شيء، كان بإمكاني ان أحصل عليك في تلك اللحظة، اذا أردت».

«هذا كذب حقير!» قالت سونيا وهي تحاول التخلص من قبضته ولكنه قبض على يدها الأخرى وجذب جسدها نحوه:

«حقاً، دعينا نجرب الآن». لقد كانت قبلة عنيفة، بعيدة كل البعد عن أية عاطفة أو حب، لقد كانت كصراع بين ارادتين، وعكست رغبته في ايذائها.

لقد حاولت المقاومة، ولكن بدون جدوى، فهو أقوى منها بكثير، فما كان منها الا ان ركلته، واستطاعت عندما سمعت أنينه ان تعلم بأنها قد آلمته.

«أيتها العاهرة» قال وهو يدفعها عنه بعنف.

www.elromancia.com

«لقد وعدت» قالت وهي خائفة من ردة فعله هذه:

«لقد قلت انك لن تلمسني ثانية».

«انت من سعى الى هذا» قال، واستدار ذاهباً دون ان ينتظر جواباً.

في اليوم التالي رافقها بادي في جولة حول المزرعة وعرفها بالعمال. كان دفيء ترحيبهم بها نابع من حبهم لبادي، بالطبع لقد كانوا يتساءلون في أنفسهم من اين اتت هذه الابنة فجأة، ولكنهم لم يسألوا، وبادي بدوره لم يقدم أي تفسير، لأنه لم ير حاجة الى ذلك.

لقد كان الاسبوع التالي كله على هذا النحو، كانت خلال النهار ترافق بادي بجولته على الحظائر والمكاتب، ويجلسان بعد الظهر على الشرفة ويتحدثان عن أشياء كثيرة لكي يعرفا بعضهما أكثر، ولكن سونيا كانت تحاول كل يوم ايجاد الكلمات المناسبة لتطلع بادي بأنها لن تبقى طويلاً، ولكنها لم تجد أبداً الوقت المناسب.

خلال هذه الفترة لم تر دايفيد كثيراً، فقد كان يعمل طوال النهار، ولا يلتقيان الا على مائدة العشاء. في البداية حاول بادي عدم التدخل آملاً بأن يتحسن الوضع بينهما ولكن بعد أسبوع قرر التحدث الى سونيا:

«ما الذي حصل بينك وبين دايفيد في فرنسا؟» سأل في يوم عندما كانا يجلسان على الشرفة بعد الظهر.

«حصل؟» قالت وهي تنظر الى بادي بدهشة.

«بالطبع حصل شيء ما، ان ذلك واضح في الطريقة التي تعاملان بها بعضكما».

«أنا لم ألاحظ اننا نعامل بعضنا بطريقة غريبة» قالت له لأنها مترددة بأن تبوح له بمشاعرها نحو دايفيد في حين انها هي نفسها لا تفهمها.

«انتما تتجاهلان بعضكما، وعندما اقترح بأن تذهبا سوياً بجولة حول المزرعة تتسابقان لتقديم الأعذار التي تمنعكما من فعل ذلك» أضاف قائلاً وبدا ان ملاحظته كانت دقيقة.

«حسناً، اعتقد اننا لا ننسجم سوياً» اعترفت أخيراً.

«أجل، ولكن لماذا؟» قال بادي عابساً.

«أعتقد بأن ذلك يعود لطبيعة علاقتك مع والدتي».

«دايفيد قال هذا؟» بدا بادي وكأنه لم يفكر بمثل هذا الاحتمال.

«ليس حرفياً، ولكن بعض تعليقاته تدل على هذا، أعتقد انه يضع اللوم عليها في تحطيم زواجك».

«اوه، غير ممكن» قال بادي وبدت عليه الحيرة:

«أنا وماري كنا منفصلين قبل سنوات من لقائي بأمك».

بدت الحيرة على الفتاة:

«يبدو ان دايفيد لم يقل لك» استخلص بادي من تعابير وجهها:

«زوجتي لم تحب الحياة هنا، وانتقلت للعيش في سيدني، وعندما دخل دايفيد المدرسة الثانوية، كان يبقى معها خلال أيام الدراسة، ويأتي الى هنا أيام العطل».

«ولكن، ان كنت منفصلاً عن زوجتك...» وكانت نظرة الاتهام واضحة في عيني سونيا.

«لماذا لم أتزوج والدتك؟» أكمل بادي كلامها:

www.elromancia.com

«لقد أردت ذلك، صدقيني يا ابنتي، أنا لم أرغب بشيء في حياتي أكثر من الزواج من والدتك، ولكن عندما عدت من أوروبا رفضت ماري حتى التفكير بالطلاق».

«كان بإمكانك مع ذلك العودة الى أمي» قالت سونيا.

«لقد أردت ذلك» تنهد بادي:

«وكل تلك السنين، أتمنى لو انني فعلت! لأنني لم أنسها، لم أتوقف أبداً عن حبها... لا تظني أبداً انني ما أحببتها» قال بصوت عميق ومؤثر.

اختفى غضب الفتاة، وبدأت ترى الأمور من منظار آخر. فإن فراقهما قد سبب ألم أكبر لبادي، لأن والدتها انتقلت الى حياة جديدة ملؤها الصخب والاثارة. هل كانت لتقايض تلك الحياة بمثل هذه الحياة في استراليا؟.

«لابد ان كان لديك أسباب مهمة لعدم عودتك» قالت بهدوء.

«في ذلك الوقت كان الوضع صعباً».

«ما هي هذه المشاكل؟» سألت بفضول.

«تعلمين اننا تبنينا دايفيد؟» ثم تابع عندما هزت رأسها ايجاباً.

«حسناً، في ذلك الوقت هو نفسه لم يكن يعلم ذلك. أذكر عندما كنا نتشاجر حول فشل زواجنا، كانت ماري دائماً تقول ان ذلك يعود لعدم انجابنا الأولاد، وكنا مشغولين في فتح ملفاتنا القديمة لدرجة اننا لم نلاحظ دايفيد، الذي كان واقفاً بالباب يستمع الى كل كلمة نقولها» اعترف وفي صوته رنة خجل.

بقيت صامتة، ولكنها كانت قادرة على تصور قساوة الوضع على دايفيد الذي كان صبياً في الرابعة عشرة. وتابع بادي:

«في البداية كان يقف محدقاً بنا وكأننا غدونا غرباء عنه فجأة، ثم استدار راكضاً الى غرفته وأقفل الباب».

«دون ان يقول شيئاً؟».

«دون أي كلمة. لقد كانت تلك طريقة دايفيد منذ صغره، انه يكبت آلامه في صدره» قال بادي متنهداً:

«بالطبع، لاحقاً أراد ان يعلم من يكون والداه الحقيقيان».

«هل قلت له؟».

«ليس حالاً. ان والدته الحقيقية كانت أخت ماري الصغرى» أطلعها بادي.

«لقد أتت للعيش معنا، وانتهى بها الأمر حاملاً من أحد مربي المواشي. كان الرجل مستعداً لأن يتزوجها، ولكن فرانسيس لم ترد مثل هذه الحياة، ولم ترد تحمل مسؤولية طفل. فما كان من ماري الا ان ذهبت معها الى سيدني الى ان ولد طفلها، فأتت به فظن معظم الناس انه طفلنا، فخططنا اننا سنطلعه على الحقيقة في يوم ما، ولكن ذلك لم يحدث. ربما لو ان فرانسيس ظلت على اتصال معنا لكنا فعلنا، ولكنها اختفت من حياتنا لحظة سلمت ماري الطفل».

«اذن لم يعرفها دايفيد» استخلصت سونيا.

أحنى بادي رأسه بالايجاب:

www.elromancia.com

«وماري كانت مصممة على ترك الأمور على هذا النحو لأسباب وجيهة. ولكن الحاح دايفيد أفقد ماري أعصابها وجعلها تقول له أين يستطيع ايجاد فرانسيس».

«وماذا حصل؟» سألته شاعرة بأن الأمور لم تسر على ما يرام.

«لقد ذهب لزيارتها» قال بادي متنهداً:

«كانت قد تزوجت رجل أعمال كبير وكانت تعيش في ضواحي سيدني، لقد أعطى دايفيد اسمه على الباب لتأتي الخادمة بعد وقت وتقول له بأنها ليست في الداخل. أظن انه علم ان تلك كانت كذبة لأنه انتظر وراء الباب الخارجي حين خرجت بسيارتها. ولكن الأمر السيء حقاً انها حتى لم تتوقف للتحدث معه. واتصلت بماري لاحقاً تقول لها ان يبتعد عنها. ولكنها لم تكن بحاجة لتفعل ذلك، اذ ان دايفيد اختفى لثلاثة أشهر، لقد عمل على احدى السفن، ثم عاد من تلقاء نفسه، ولكنه منذ ذلك الوقت لم يذكرها على لسانه» قال بادي بصوت حزين.

- ١١ -

لقد شعرت سونيا بالتألم لأجل دايفيد، ان فرانسيس الغنية تعتبر ان ابناً غير شرعياً هو احراج لها، تماماً عكس معاملة والدتها لها، وعكس ما فعله بادي عندما رحب بها عندما اتت اليه.

«أحياناً أشعر ان ذلك جعله يفقد الثقة بالناس» قال بادي بحزن:

«ربما هذا هو السبب الذي أبعده عن الزواج».

«أستطيع الآن ان أرى سبب عدم رجوعك الى أمي، انت لم تكن تعرف بأمري، وكذلك كان دايفيد بحاجة اليك أكثر».

«انت فتاة رائعة، سونيا» قال مادا يده ليمسك يدها ويضغط عليها بلطف.

www.elromancia.com

«أحياناً أسأل نفسي اذا كنت أستحق أولاداً مثلك ومثل دايفيد، ان أمنيتي الوحيدة هي ان تصبحا صديقين».

أمنية مستحيلة، فكرت سونيا:

«لا أظن ان هذا محتملاً».

«ولكن انت مستعدة للمحاولة؟» قال بادي بلهجة أضعفتها:

«حسناً، سأحاول» قالت، مع انها لم تكن متأكدة ماذا يتوقع من هذا، فإنها كانت متأكدة تقريباً من ان دايفيد سيرفض أية محاولة ودية من طرفها.

لاحقاً ذلك اليوم وعلى مائدة العشاء، حاولت توجيه الكلام لدايفيد ولكنها لم تفلح، يبدو انه أخذ الكثير من طباع الماشية التي يمضي معها يومه. فما كان من بادي الا ان تطوع بالقول:

«سمعت انك ستطير غداً الى مزرعة فاندير».

«أجل، غداً» أجاب باختصار.

«في هذه الحال» تابع بادي:

«كنت أفكر لو انك تصطحب سونيا معك وتريها المكان».

امتقع وجه سونيا للإقتراح، كذلك كانت ردة فعل دايفيد ولكنه عندما رأى التعبير على وجهها رمى الطابة في ملعبها:

«اذا كانت تريد ذلك».

«سونيا؟» نظر اليها بادي نظرة مستعطفة.

كانت قد وعدت بادي بأن تقوم بمجهود، ووجدت

نفسها في فخ فأجابت:

«حسناً، اذا كان هناك مكان لي» وتركت المجال لدايفيد لكي يبتدع عذراً ما.

لكن الشاب ظل يحدق بها عوضاً عن ان يتكلم، فما كان من بادي الا ان قال:

«بالطبع يوجد مكان، متى ستنطلق؟».

«حوالي السابعة» جاوب دايفيد وعيناه لا تزالان على الفتاة.

في اليوم التالي استيقظت سونيا في وقت باكر وأتت في الساعة السادسة الا ثلث الى طاولة الافطار، نظر اليها دايفيد بدهشة، بينما أرسلت اليها بات مارتن الجالسة الى جانبه نظرة استياء.

«أعتقد انك تريدين تناول الافطار» قالت المرأة الاسترالية.

«فقط قهوة، ولكن لا تزعجي نفسك» واتجهت نحو ابريق القهوة على آخر الطاولة.

«يجب ان تأكلي شيئاً» قال لها دايفيد:

«لدينا نهار طويل أمامنا».

«أفضل الا أفعل».

«انت حرة» قال باختصار:

«ولكن لا تتذمري من الجوع لاحقاً».

«لن أفعل!» رمت الجواب متمنية الا يكلمها وكأنها طفلة في الخامسة من العمر، خاصة أمام هذه الاسترالية المتمردة.

www.elromancia.com

«هل ستأتون على العشاء» سألت المرأة الاسترالية.

«أظن ذلك» ثم توجه بالكلام الى سونيا:

«هل انت جاهزة؟».

خرجا بصمت واتجها نحو الطائرة بالجيب. ولم تحاول سونيا الصعود الى الطائرة الى ان صعد دايفيد ومد لها يده مساعداً فما كان منها الا ان تجاهلتها وصعدت بنفسها.

نظر اليها نظرة حادة قبل ان يرمي في حضنها سترة جلدية من الفرو خاصة بالطيران. قائلاً:

«ارتدي هذه».

«لماذا؟» سألت سونيا وهي تنظر الى السترة.

فقال دايفيد فاقداً الصبر:

«ولماذا تظنين؟» ثم تابع قبل ان تتمكن من الاجابة:

«لكي تقيك من البرد».

«اوه!» قالت سونيا بدهشة. فقد كانت تظن انه لن يهتم بها حتى لو تجلدت.

«شكراً» قالت وهي تلبس السترة.

ثم نظرت حولها وقالت:

«كيف أقفل الباب؟».

«لا يوجد أي باب، لهذا ستحتاجين للسترة».

«فهمت».

راقبت سونيا دايفيد وهو يكبس بعض الأزرار كي يدير المحرك ثم سار بالطائرة قليلاً، وكانت هي متمسكة بالمقعد خوفاً، الى ان أقلع بالطائرة كالعصفور. لقد كانت تلك المرة الأولى التي تطير بها في طيارة خفيفة. على علو

أربع مئة متر، وبما ان الطائرة دون أبواب. كانت تستطيع ان ترى كل شيء تحتها بوضوح. كانت كل تلك المساحات لا تزال تبدو موحشة ولم يترك الانسان أي أثر عليها، ولكن رغم كل شيء فهي تعطي شعوراً بالحرية لا يستطيع الانسان الحصول عليه في البلدان الأكثر تحضراً.

ولاحظ دايفيد اهتمامها:

«انت ربما تجدين المكان أكثر وحشية من الجو».

«لا أعلم، فإن للمكان جماله الخاص» قالت وكأنها تفكر بصوت عال.

«اذن هي ليست تلك الأرض القاحلة؟». قال ملتفتاً اليها بدهشة.

«عفواً؟» لم تسمع سونيا ما قاله.

«هذا ما قلته في ليلتك الأولى هنا، انك لا تهتمين بهذه المنطقة لأنها أرض قاحلة» أعاد، وهذه المرة تذكرت الفتاة كلامها.

«أجل... حسناً، لقد كنت غاضبة قليلاً حينها» قالت هازة أكتافها بلامبالاة. كاد دايفيد يضحك عالياً للطريقة اللامبالية التي تحدثت فيها عن الشجار الذي جعله يشعر بالغضب لأيام، ولكن هذا حذرها وقال:

«لقد كان هذا حال كلينا دعينا ننسى الموضوع».

«حسناً» وافقت سونيا بترحيب.

«جيد» قال مبتسماً ثم انتقل ليحدثها عن الأماكن التي يمران فوقها بينما كان يقود الطائرة بسهولة. للمرة الأولى يبدو مرتاحاً برفقتها، ولكنها فكرت ان ذلك ربما يعود

www.elromancia.com

للموضوع الذي يتحدث عنه فهو يبدو مأخوذاً تماماً بالمنطقة ومشاعره تجاهها أكثر مما يمكن ان يشعر به نحو أي انسان. أزعجتها الفكرة، ولكنها حاولت طردها والتركيز على المشاهد. وتعجبت من المشهد الذي أمامها:

«هل هذا نهر؟».

«حسناً، انه ليس الميسيسيبي، ولكننا نسميه نهراً» قال بلهجة جافة.

«لم أكن أنتقد حجمه، ولكنني كنت أظن ان الأنهار هنا تجف خلال أشهر الجفاف» شرحت سونيا لتظهر له انها ليست جاهلة وقليلة المعلومات.

«معظمها يجف، ولحسن الحظ ان هذا النهر قعره عميق، ومياهه تبقى، مع ان منسوبه يخف خلال فصل الجفاف».

«أظن ان مياهه ترتفع كثيراً خلال فصل الأمطار».

«أجل، انه يبدو هادئاً الآن، ولكن انتظري فصل الأمطار عندما تطوف الأنهار، وانظري الى ثورتها حينها».

حاولت سونيا ان تتخيل حاله عند هطول الأمطار، فهي تعلم انها لن تكون هنا حينها، ودايفيد كذلك يعلم هذا، وكلمة انتظري هذه ما كانت سوى زلة لسان.

«كم تبعد المزرعة؟» سألت بعد ان مرت ساعة على اقلاعهم.

«نكاد نصل» قال وهو ينخفض بالطائرة:

«بالواقع، ها هي أمامنا هناك».

ونظرت سونيا بدهشة، اذ لم تكن تتوقع ان ترى هذا

العدد من المقطورات والجيبات متجمعة الى جانب النهر، بالاضافة الى بيوت ضخمة للماشية بحجم تلك الموجودة في المزرعة، مع انها تبدو فارغة الآن، حطت الطائرة على بعد مسافة من المزرعة وانتظرا جيب ليأتي ويقلهم، عندما توقف السائق وابتسم عرفت انه جيف، قال مبتسماً:

«لم أكن أعلم ان دايفيد سيأتي بك معه الى هنا».

«هو أيضاً لم يعلم ذلك حتى الليلة الفائتة» أجابته سونيا مبتسمة.

«أنا سعيد لأنك أتيت» رد بحرارة، ثم غير لهجته:

«أعني انك سوف تستمتعين بوقتك هنا».

«آمل ذلك» ردت الابتسامة، ولكنها بالكاد لاحظت تأثيرها على ذلك الشاب. ولكن دايفيد لاحظ وقطع الحديث، دعنا نذهب يا جيف، أريد ان أبدأ».

عبس جيف قليلاً متفاجئاً بتصرف صديقه، الا ان الفتاة لم تتفاجأ، فقد شكت منذ البداية ان هذا اللطف لا يمكن ان يدوم طويلاً، وقد كان نفاذ صبره واضحاً عندما فتح لها باب الجيب.

«هل تواجهون أية مشاكل؟» قال لجيف في طريقهم الى المزرعة.

«كلا ولكن نحن بحاجة الى طباخ ثانية».

«منذ متى؟».

«منذ الليلة الماضية عندما قرر باقن الرحيل» أجاب جيف.

«أتمنى ان تجد لنا طباخاً آخر».

www.elromancia.com

«ماذا ستفعلون خلال هذا الوقت؟».

«لقد أكلنا على الافطار بقايا أكل البارحة، الذي لم يكن طعمه جيد منذ البداية، اما على الغداء فليس لنا سوى اللحم المملح» قال جيف دون حماس.

«أعتقد ان الرجال لن يكونوا سعداء لهذا أيضاً» قال دايفيد.

«كلا، ولا ألومهم على ذلك، ولكن ماذا يمكننا ان نفعل؟» أنهى كلامه عندما اقتربا من المخيم.

لم يبدو ان دايفيد كان لديه حل ليقدمه، الا ان سونيا فكرت انه بما انها تحسن الطهي، فستكون أنانية ان لم تعرض المساعدة.

«أستطيع ان أطبخ لكم شيئاً اذا أحببتم» اقترحت سونيا.

- ١٢ -

جعل كلامها دايفيد يستدير وينظر اليها بدهشة ظاهرة ثم ضحك قائلاً:

«انت؟».

«أجل، أنا».

«انت تطبخين؟» قال بلهجة غير مصدقة.

«حسناً، ما كنت عرضت خدماتي لو لم أكن أحسن الطهي» أجابت.

«هذا صحيح» قال جيف وهو يبتسم لها.

لكن دايفيد تابع بشك:

«أين تعلمت الطهي، في المدرسة الثانوية؟».

«جزء منه نعم، لماذا؟».

«لأن تحضير الطعام لحفلة عشاء شيء، والطهي

www.elromancia.com

لعشرين من رعاة الماشية الجياع شيء آخر».

بدأت سونيا تندم على صنيعها:

«أظن ان عشرين رجلاً جائعاً هم أقل انتقاداً لما يأكلون» أجابت:

«على أي حال، اذا لم تكن تؤمن بمقدرتي فـ...».

«أنا أؤمن» قال جيف عندما رأى بأن الوجبة تكاد تفلت من يده.

«دايفيد كان فقط قلقاً بشأن اخطلاطك مع الرجال».

«أنا لا أمانع ذلك» ردت وهي تشك بأن ذلك ما كان يفكر به دايفيد أبداً.

«دايفيد؟» خاطبه جيف ليعلن القرار الأخير.

«ان الخيار لك» قال وهو ينظر الى سونيا بينما ينزل من الجيب:

«ولكن لا تتوقعي من الرجال ان تكون ردة فعلهم مهذبة اذا لم يحبوا ما تطبخين».

«ليس بتهذيبك انت تعني؟» قالت سونيا ولم يلاحظ دايفيد تهكمها الا بعد ثوان، ولكنه لم يجب، بل اكتفى ان قال لجيف:

«ارشدها اين تستطيع ان تجد الأغراض التي سوف تحتاجها» ثم ابتعد بدوره.

«لا يبدو متحمساً للفكرة، ربما يجب الا نفعل هذا» قال جيف.

«أبداً، سوف أطبخ أفضل وجبة تناولها في حياته» واتجهت مع جيف الى المطبخ حيث أرشدها الى مكان

لخضار واللحم والأواني.

«حسناً شكراً لك جيف، فهمت كل شيء».

«اذا كنت متأكدة...» بدا جيف متردداً بالرحيل:

«أظن انني سأذهب الآن».

«الشيء الوحيد الذي لم تطلعني عليه هو ماذا أطبخ».

«اوه، أي شيء... أي شيء سهل» قال جيف ثم ذهب بعد ان ابتسم لها مشجعاً.

قطعت سونيا اللحمة وأضافت اليها ما وجدته من الخضار ووضعتها على النار كي تنضج وأخذت تعد السلطة.

بعد ساعتين، شعرت سونيا بالتعب لكنها كانت راضية عن النتيجة. رتبت المائدة الطويلة وجلست ترتاح قليلاً.

بعد قليل، سمعت خطوات في الخارج وما هي الا لحظات حتى بدأ الرجال يتوافدون الى المطبخ.

«يا للرائحة اللذيذة!» قال أحدهم وهو يدخل.

«كنا نتوقع ان نأكل اللحم المملح اليوم ولكن...» وسكت الآخر مذهولاً عندما رأى سونيا تنهض عن كرسيها.

«يا الهي، يا لحظنا الرائع! امرأة رائعة الجمال تعد لنا الغداء؟».

قال رجل ثالث وهو يدور حول الفتاة بمرح.

«أتمنى ان يكون الطعام كما تدل عليه رائحته» قال رابع.

«أنا أتمنى ان يكون لذيذاً كمن أعدته» قال خامس واستمر الأخذ والرد بين الرجال حول الطباخة الجديدة بينما

سونيا تنتظر اللحظة المناسبة لتعلن عن نفسها.

«لماذا لم يخبرنا جيف اللعين عن هذه الطباخة الجميلة؟» قال الأول.

«كي لا تتركوا العمل مع المواشي وتأتوا لتقدموا للطباخة يد المساعدة» قال الثاني ضاحكاً واقترب من الطنجرة الكبيرة ليرفع الغطاء عنها.

لكن سونيا كانت الأسرع وضربته على يده بالملعقة الكبيرة وقالت له ضاحكة.

«اجلس مكانك وأنا من سيسكب لكم الطعام».

«اطع الآنسة وخذ مكانك».

التفت الجميع الى الخلف فرؤا جيف الذي دخل مع رجلين آخرين.

«أنا آسف، سونيا اذا كان الرجال قد أزعجوك».

«أبداً، جيف، انهم لطفاء» أجابته وهي تسكب الطعام بالصحون وأخذ جيف يساعدها في توزيع الصحون على الرجال.

«كيف سارت الأمور؟».

«بشكل جيد. يبدو ان الرجال جائعون جداً».

«هل علموا بأنك ابنة بادي صاحب المزرعة؟».

«لا، لكنهم يعتقدون انني الطباخة الجديدة» قالت له ضاحكة وهي تناوله صحنه.

«ألن تأكلي؟» سألها بدهشة.

«بلى» وتناولت صحنها وجلست بجانبه.

«صحيح انك لن تبقي هنا مدة طويلة؟».

«من اخبرك بذلك؟».

«دايفيد، قال بأنك سترحلين بعد بضعة أيام».

تساءلت الفتاة ما الذي دفع دايفيد ليتكلم عنها ولماذا يظن بأنها لن تبقى هنا.

«كيف يقول هذا وأنا نفسي لم أقرر بعد!» قالت بحدة.

«أظن انه كان يقصد من خلال كلامه التحذير».

«تحذير؟ ماذا تقصد؟».

«أي انه يحذرني، في حال كنت معجباً بك، كي لا أعلق آمالاً كبيرة» قال جيف وقد احمر وجهه.

«اوه، هذا هراء! نحن بالكاد نعرف بعضنا».

«أعتقد انه فعل ذلك بدافع الرضى عليك...».

قطع حديثهما اطراء الرجال على طعامهما، سعادة هؤلاء الرجال جعلتها تنسى دايفيد فأخذت تشاركهم الضحكات والنكات. حتى ان احدهم قال بأنه سيطلب من دايفيد ان يبقيها في المزرعة لتطبخ لهم كل يوم.

خلال هذا الحديث، لم يعلم جيف كيف يخبرهم بأنها ابنة بادي.

«أخشى ان لا تكون الآنسة قادرة على البقاء هنا لتطبخ لكم، فهي...» قال جيف لكنه قطع كلامه عندما رأى دايفيد يقف أمام الباب ويبدو انه كان قد سمع كل الحوار لأن أثر المفاجئة لا يزال بادياً على وجهه.

ظل واقفاً يتأمل الفتاة.

ويسأل نفسه لماذا يفاجئه الوضع، فإن تأثيرها لا ينكر على كل الرجال. ان الأمر ليس فقط في مظهرها، انما في

حركاتها، ونظرتها وفي طريقة ابتسامتها.

أحياناً كان يرى كل ذلك بلامبالاة، ولكن في أحيان أخرى، مثل الآن، يعود ليلاحظ من جديد كم هي جميلة، وعندما تحدق به بتلك العينين الخضراوين، عندما تغدو تلك العيون كالسكاكين تقطع في داخله، في تلك الأوقات كان يأخذ الغضب كستار لما يشعر به فعلاً، فهو لن يدع نفسه ينجرف بالتيار، ليس مع هذه الفتاة، ليس عندما تكون الفتاة أميرة بادي الصغيرة... مهما كانت هذه الصورة مخطئة.

لكن الذي يمنعه كان أكبر من ذلك، لقد كان يعلم انها لابد ذاهبة في يوم من الأيام، وهو لا ينوي ان يكون جزءاً من الحطام الذي تتركه خلفها. جعلت هذه الفكرة وجهه يتجهم، مما جعل سونيا تصحو أيضاً، وتتساءل ما الذي فعلته لتستحق تلك العبسة. وراحت النظرات تنتقل بينها وبين دايفيد الى ان كسر جيف الصمت أخيراً:

«اجلس هنا دايفيد» قال جيف وهو يفسح المجال بينه وبين سونيا.

تردد دايفيد لوقت طويل حتى ظنت الفتاة انه لن يأتي، ولكنه أتى وجلس بجانبها وطبقه بين يديه، وعندما بدأ الأكل، كانت تنتظر حكمه مع بقية الرجال.

كان على وشك انهاء طبقه عندما رفع رأسه ورأى العيون تتجه نحوه.

«هل من خطب؟».

«كلا» أجاب أحدهم:

«كنا فقط نتساءل ما رأيك بطعام الآنسة».

«لقد تذوقت أسوأ منه» وقال وهو ينظر الى الفتاة بطرف عينه.

«ليس عليك ان تأكله اذا كان لا يعجبك!» ردت عليه سونيا.

«صحيح، ولكنني أفعل بدافع التهذيب» أجاب ثم تابع الأكل.

فتدخل جيف:

«ان دايفيد يمزح فقط» قال ليخفف من حدة النظرة التي اعتلت وجه الفتاة.

«بالطبع هو يمزح» قال أحدهم:

«أليس كذلك دايفيد؟».

«ربما» رد وهو يدفع الصحن الفارغ بعيداً.

الا ان وجه سونيا بقي متحجراً، فهي لم تنتظر اطراءً منه على صنيعها ولكن قليلاً من الامتنان لن يضره.

«من المؤسف ان الآنسة لن تبقى معنا» قال أحدهم:

«اذا كان لدينا طباخة ماهرة مثلها، قد أعمل بنصف راتبي».

فرد جيف:

«ان فتاة مثل سونيا لن تضيع وقتها في الطهي لكم».

«نأمل ان تجد لنا طباخاً بمثل مهارتها».

«ولكنه لن يكون أبداً بمهارة الآنسة» قال آخر الذي من الواضح انه من أكثر المعجبين. وأكد آخر كلامه:

«هذا صحيح».

«وليس بجمالها أيضاً، على ما أظن» قال دايفيد وهو يعلم ان طبخ سونيا ليس وحده سرّ كلّ هذا الاعجاب.

«الآن فهمنا لماذا تود ان تبقيها في المزرعة» قال أحدهم مبتسماً.

للحظة شعرت سونيا بالسعادة، اذ انها المرة الأولى التي يلاحظ دايفيد شكلها، ولكنه نفى ان يكون الموضوع شخصياً عندما أجاب:

«ليس أنا، ولكن بادي يود ذلك».

«بادي؟» لم يفهم الرجال ماذا يحصل، ونظر دايفيد اليها، وكأنه يسألها بعينيه عن مدى معلومات الرجال عنها، فهزت رأسها وحاولت ان تفهمه بنظرتها ان الأمر كان صعباً، ولكنه جعل الأمر يبدو بغاية البساطة عندما أضاف ببرود:

«من الواضح انكم لم تلاحظوا بأن بادي هو والد سونيا».

تبع كلام دايفيد صمت فترة، وحدقت به مذهولة صراحته.

«بادي والدها» أعاد ماك:

«يا لغبائي، وأنا الذي ظننتك الطباخة الجديدة».

«هذه غلطتي» قالت الفتاة:

«كان علي ان أقول لكم منذ البداية».

فرد جيف:

«ولكن لم تسنح لك الفرصة لتقولي لهم» ووجه نظرات الاتهام الى ماك.

«لابد اننا لا نملك نظراً كذلك» قال توم:

«فأنت نسخة تماماً عن بادي، أليس كذلك داني؟».

«أجل، ولكن نسخة أجمل» قال بلطف دفع سونيا للإبتسام.

ثم قال ماك:

«المضحك انني لم أكن أعلم ان لبادي ابنة».

«أجل» تدخل دايفيد وهو يفكر بعذراً منطقياً:

«ان والدة سونيا أرادتها ان تنشأ وتتعلم في أوروبا بدل استراليا».

لقد كان ذلك عذراً ذكياً، دون الاضطرار للجوء الى أكاذيب مصطنعة. انتهى الغداء وبدأ كل الرجال بالعودة الى عملهم، ولكن جيف تمتع بوقت أطول برفقة سونيا ولاحظ دايفيد ذلك فصرفه بلباقة:

«أراك لاحقاً سونيا».

قال جيف وهو يغادر مبتسماً.

وعندما وجدت نفسها لوحدها مع دايفيد، قامت تجمع الصحون الوسخة. فوقف معها:

«لست مضطرة لفعل ذلك».

«لا مانع لدي» وتابعت ما كانت تفعله آملة ان يذهب عنها اذا أهملته، ولكن، ولدهشتها، بدأ يساعدها حتى انتهيا من غسل الصحون.

«أظن انه علي ان أشكرك» قال دايفيد وهما يجففان الصحون

«ليس عليك ان تجبر نفسك على فعل ذلك» ردت وهي

لا تزال حاقدة عليه. وتابعت طريقها أمامه.

لحق بها الى الداخل ووضع الصحون في الخزانة:

«حسناً» حاول ثانية:

«لقد أسأت تقديرك، انت حقاً طباخة ماهرة».

لقد علمت سونيا انه قام بمجهود كبير كي يقول لها هذا الكلام:

«طالما ان الرجال أحبوا طبخي».

«لا شك بهذا. يبدو انك قد كسبتهم».

«انهم رجال طيبون».

«وماذا عن جيف؟» فحدقت به ملياً:

«ماذا عن جيف؟». سألته.

«هل يعجبك؟» تابع دايفيد.

«ليس بالشكل الذي تفكر به، فأنا لا أفكر به من هذا المنظار ولست بوارد ان أفعل ذلك، هل هذا كل شيء؟».

«حسناً، لقد كنت صريحاً بكلامي» اعترف وهو يبتسم رغماً عنه:

«ولكن، ولأكون صادقاً، انني مهتم أكثر بمصلحة جيف. فهنا يوجد القليل من النساء، وهن لا يملكن جمالك».

«حقاً؟» لم تكن سونيا متأكدة كيف تأخذ كلامه، كإطراء أم كإتهام.

«على اي حال» قال متابعاً:

«سأكون ممتناً اذا لم تفسحي له المجال».

لبرهة وقفت، سونيا تنظر اليه غير مصدقة، وكادت

تضحك للموقف. كان جيف يظن ان دايفيد مهتم بها، ولكن عوضاً عن ذلك فإن دايفيد مهتم بمصلحة جيف ويخاف من تأثيرها السلبي عليه.

«وكيف علي ان أفعل ذلك؟» سألت أخيراً.

«تستطيعين ان تكلميه بالطريقة التي تلكميني بها وسيفي هذا بالغرض».

«انت تعلم بأنك لست أفضل مني كثيراً».

«ربما لا، ولكن ربما اذا حاولنا...» وتوقف تاركاً لها الخطوة التالية، فقالت بتردد:

«حسناً، أجل... ربما يمكننا المحاولة».

«ولكنك لا تظنين اننا سننجح» استنتج من لهجتها.

«ليس تماماً» أجابت بصراحة.

لكن، وللمرة الأولى كانا يتبادلان الكلام دون عداء. أمضيا بعض الظهر في نزهة بالطائرة، وعندما حطا في المخيم سألها:

«هل استمتعت بالطيران؟».

«أجل، بالواقع كنت أفكر لو انني أستطيع تعلم الطيران».

لم يبدو متحمساً كثيراً:

«ربما من الأفضل ان نبدأ بتعليمك ركوب الخيل».

«لانها آمن من الطيران» قالت متحدية، وفكرت انه لابد يذكر الآن وقوعها عن الدراجة النارية.

«ربما» اعترف دايفيد:

«بالاضافة الى ان ذلك سيكون مفيداً أكثر لك في حال

قررت البقاء هنا لمدة . . .» كان في كلامه لهجة سؤال.

صعقت كيلي. بالطبع كان يريدها ان تذهب بأسرع ما يمكن؟ ولكن نظرته والحاح عينيه كانت تقول العكس. وراودتها رغبة مجنونة بأن تقول له بأنها ستبقى. . . ستبقى طالما انه يريدها ان تبقى.

«أعتقد ذلك» قالت بغموض.

«اذن سأختار لك جواداً عند عودتنا» أجابها. وساعدها في الصعود الى الجيب لأنهما سيعودان براً.

وفكرت سونيا انه ربما، مع القليل من المجهود باستطاعتها ان يصبحا صديقين.

أسندت رأسها الى الخلف. وبالرغم من الطريق العورة المليئة بالحفر، انغمست في نوم عميق. ولم تستيقظ عندما انزلق رأسها ليرتاح على كتفه. ولا عندما رفع ساعده جاعلاً رأسها يستند الى صدره، قبل ان تستقر أخيراً في حرجه.

عندما فتحت سونيا عينيها لم تدر أين هي، اذ ان الشاحنة لم تكن تتحرك، واستغرقها الأمر بضع ثوان كي تلاحظ بأنها قد نامت في طريق العودة من المخيم. وشعرت بيد تلعب بشعرها بلطف، للحظة ظنت ان هذا من صنع مخيلتها، تلك اللمسة اللطيفة، لقد كانت ناعمة للغاية لدرجة ظنت انه من غير الممكن ان يكون ذلك دايفيد نفسه، وانه يلمسها هي بتلك الطريقة. ولكن، كان عليها ان تصدق تلك اليد التي كانت تلعب بخصل شعرها، وفي بعض الأحيان تلامس خدها بلطف. ثم توقف فجأة، وانتقلت يده الى كتفها لكي يوقظها من نومها، ولكن

ليس بلطف كالسابق:

«هيا سونيا، استيقظي، لقد وصلنا» قال لها بفظاظة.

عندها أحست بكبريائها يدفعها لرفع رأسها، وفكرت انها كانت على حق عندما ظنت ان هذا اللطف هو ليس لها، لابد انه كان يتخيل أحداً آخر مكانها.

«آسفة، لابد انني كنت متعبة كثيراً» قالت وكأنها تعتذر عن النوم في حرجه.

«لا بأس، لقد كان نهارنا طويلاً» قال وهو ينزل، ودار ليفتح لها الباب.

فسبقته وفتحت الباب لكنها كانت تقع وهي تنزل لولا ان يده أمسكتها.

«ربما من الأفضل ان أحملك» اقترح.

«كلا، شكراً» أجابت سونيا بصرامة وبدأت تمشي نحو البيت.

كان البيت معتماً. اذ ان بادي اوى الى الفراش منذ وقت طويل، فمشيا سوياً في الممر. وصلا أولاً الى غرفة دايفيد، فهمست سونيا:

«ليلة سعيدة».

«ولكن عندما استدارت لتتجه نحو غرفتها أمسك بذراعها:

«سونيا، اسمعي. . .».

«ماذا؟» ونظرت اليه.

لكن يبدو انه غير رأيه فيما كان يود قوله وأضاف:

«أراك غداً».

«أجل، أراك غداً» ردت وهي تتجه نحو غرفتها، الا انها شعرت بقليل من خيبة الأمل.

الا انها فكرت وهي تأوي الى الفراش انه لابد يعني انهما سيكونان أصدقاء أيضاً. ولكنها عادت للواقع، فكيف ليوم واحد ان يمحي كل تلك الأفكار والأكاذيب التي يصدقها عنها، انهما لن يكونا أصدقاء حقاً حتى يصدق كلامها.

عندما خلدت سونيا للنوم، كانت لا تزال تشعر بتلك اليد اللطيفة تداعب شعرها برقة.

استيقظت سونيا متأخرة صباح اليوم التالي لتجد بادي بانتظارها على الشرفة، فراحت تحدثه عن كل ما حصل معها في اليوم السابق، دون ان تأتي على ذكر دايفيد ولا لمرة واحدة، فكان على بادي ان يسأل بنفسه.

«كيف سارت الأمور مع دايفيد؟».

«اوه، انت تعلم» قالت سونيا هازة كتفيها.

«وهل كنت لأسألك لو كنت أعلم؟».

«حسناً، لقد، لقد...».

«يا لها من معلومات قيمة» قال بادي ممازحاً قبل ان يضيف:

«انها بقيمة المعلومات التي أعطاني اياها دايفيد نفسه».

«دايفيد... ماذا قال؟» سألته دون ان تظهر اهتماماً كبيراً.

«على ما أذكر، لقد كان ايجابياً» وابتسم بادي وهو يتذكر.

لم يبدو على عجلة لكي يطلعها على ما قال، بل تركها كي تدفعها حشريتها لتسأله ثانية:

«ماذا قال».

«اوه، انك لم تعيقي العمل كثيراً» أجاب بادي.

«وهل هذا يعتبر ايجابياً؟» لم تستطع ان ترى الوجه الايجابي بالموضوع.

«في قاموس دايفيد، أجل» أكد بادي بابتسامة خفيفة.

لاحقاً على الغداء، بدا دايفيد صامتاً كعادته، ولكن، وكلما رفعت سونيا رأسها عن الطاولة كانت تراه ينظر اليها. وعند نهاية الغداء، أعلن فجأة:

«بخصوص دروس الفروسية، يمكننا ان نبدأ بعد ظهر اليوم اذا أردت».

لقد كان ذلك غير متوقع، عندما اقترح البارحة انه يجب ان تتعلم ركوب الخيل، لم تتخيل أبداً انه يتطوع للقيام بالمهمة بنفسه، وهي الآن بالكاد تصدق.

«انها فكرة جيدة يا بني» قال بادي عندما لم تتمكن من الاجابة:

«لابد انك اخترت جواداً، أليس كذلك؟».

«أجل، لقد اخترت ذلك الجواد الأحمر ذو السنتين من العمر».

«انه جواد ملائم تماماً» قال بادي موافقاً.

نظر دايفيد اليها ليرى نظرة الدهشة تتحول الى عبسة، لابد انها تبحث عن عذر، اي عذر لعدم التواجد معه، فأحس بالغضب وقال متعمداً:

www.elromancia.com

«أراك عند الرابعة في الاسطبل» ووقف قبل ان تسنح لها فرصة الاجابة.

بدا بادي راضياً عما حصل:

«أليس هذا رائعاً منه؟».

«اوه، أجل» قالت بشك.

وصلت الى الاسطبل في الرابعة والعشر دقائق. لتجده هناك وقد حضر قبلها:

«ظننت انك لن تأتي».

وهل كنت تتمنى ذلك، كادت تقول له، ولكنها ردت:

«لقد نسيت الوقت».

لم يتأثر دايفيد بالعذر، وأعطاها بعض الأشياء لتحملها قبل ان يضع السرج على ذراعه. ثم اتجه خارج الاسطبل نحو الباحة دون ان يتفوه بأي كلمة.

مشت سونيا خلفه:

«اسمع، أنا آسفة اذا كان بادي قد أجبرك على فعل هذا» قالت وهي تحاول ان تجاريه في المشي. توقف عن المشي قليلاً لينظر اليها، ويعترف:

«بادي لم يجبرني على شيء، لقد كانت هذه فكرتي أنا».

«اوه» قالت بدهشة.

«لقد ظننت انه يجب ان تتعلمي الفروسية خلال وجودك هنا، ولكن اذا كنت لا تودين...» هز كتفيه وهو يستدير للعودة من حيث أتى.

«ليس هذا الموضوع» قالت وهي تقف بطريقه:

«أنا أريد ان أتعلم، لكنني فقط لا أريد ان تكون تحت اي ضغط، أتعلم ما أعني؟».

«لا عليك» قال مبتسماً.

كانت رؤيتها للجواد كالحب من أول نظرة، ذلك كان شعور سونيا عندما رأت الحصان يدور بضع دورات متباهياً قبل ان يلبي صفرة دايفيد.

«يا الله ما أجمله» قالت بإعجاب.

«أجل، وهو يعلم ذلك لسوء الحظ» قال وهو يضحك بينما كان يداعب صدر الحصان بيده.

«هل من الممكن ان ألمسه؟» سألته وهي لا تجرؤ ان تفعل.

«بالطبع، تعالي لأعرفك به» ولاحظ خوفها فشدها من يدها ليقربها:

«سارتر، هذه مالكتك الجديدة، سونيا».

«سارتر» أعادت سونيا بتعجب.

«اوه، أظن ان هذا الاسم يناسبه» ابتسمت وهي تحاول ان تقترب من الجواد، فقد أتت بقطعة سكر خصيصاً له. فقال دايفيد:

«أرى ان هذا الجواد سيكون الأكثر دلالاً في المزرعة».

«هل هو حقاً لي؟».

«شرط ان تعتني به جيداً» أجابها مبتسماً.

«اوه، سأفعل» وعدته بحماس.

وفكر دايفيد بالفرق الشاسع بين سونيا التي كانت ملؤها العنجهية ساعة الغداء، وسونيا المشدوهة الآن، ذات

www.elromancia.com

العينين الخضر التي ملؤها الحماس، انها تبدو فتية جداً، حتى انه يشعر بأنه...

«ما الخطب؟» سألته، عندها لاحظت انه كان يحدق بها.

صرف نظره وأفكاره عنها:

«لا شيء، لنبدأ».

راح دايفيد يعلمها كيف يسرج الحصان، وجعلها تحاول بدورها، ثم ساعدها على امتطاء الجواد، ولكنها كادت تقع، الا انه أمسكها برجلها ليمنعها من السقوط:

«لا تقلقي، لن أدعك تصابين بأذى أبداً» لقد استغربت سونيا وعده هذا، وأحست بالأمان من كلامه.

«سندور أولاً بضع دورات، ولكن لا تقلقي للجواد، فقط ابقي ظهرك مستقيماً وحاولي ان تحفظي توازنك».

«حسناً».

ولاحظ دايفيد انها تتقبل تعليماته بصعوبة:

«ما رأيك لو نقوم باتفاق، تحاولين بدورك ان تتقبلي ملاحظاتي. وبالمقابل أحاول أنا ان أتقبل تعليقاتك اللاذعة، اتفقنا؟» نظر اليها مبتسماً.

أرادت ان تجيبه احدى اجاباتها اللاذعة الا انها اكتفت بالقول.

«حسناً، اتفقنا» قالت بهدوء.

«جيد، دعينا نكتفي بهذا القدر من التمارين لليوم».

«ولكنني بالكاد تعلمت شيئاً» قالت سونيا بخيبة أمل.

«ان هذا كاف لليوم الأول، وإلا لن يعود بمقدورك

الجلوس أبداً» قال ممازحاً.

«حسناً، سأنزل الآن» ردت سونيا، ورفعت رجلها من جهة الى اخرى حتى أصبحت بوضعية الجلوس، ثم نظرت الى الأرض قائلة:

«هل أقفز الآن؟».

«كلا، لن تفعلي» رد عليها ورفع يديه ليحيط خصرها وينزلها الى الأرض.

وبينما كان ينزلها لامس صدره صدرها فشعرت في تلك اللحظة برجوليته واحمر وجهها خجلاً. لاحظ دايفيد ارتباكها ولم يشأ ارباكها أكثر.

«هيا، خذي الحصان الى الاسطبل، وسنلتقي هنا غداً بنفس الوقت».

قال بابتسامة مشرقة وابتعد.

سلمت الحصان للعامل الذي يهتم بالجياد وعادت الى المنزل وهي تغني من الفرح.

لم تكن تدري ما هو سبب فرحها، لكنها متأكدة ان ابتسامة دايفيد خرقت قلبها وحطمت جزءاً من الحاجز الذي يفصل بينهما، وتمنت هذه المرة بصدق ان تبدأ صداقتهما.

في اليوم التالي، وصلت الى الاسطبل قبل دايفيد، ولم يكن جاك الذي يعمل في الاسطبل موجوداً، فحاولت ان تسرج الحصان وحدها.

وبينما هي تحاول ذلك، دخل جيف مساعد دايفيد.

«اوه، جيف، لقد فاجأتني».

«سمعت ان دايفيد يعلمك الفروسية».

www.elromancia.com

«نعم، كما وأنني سأطلب منه ان يعلمني قيادة الطائرة».

«أترغبين بذلك حقاً؟».

«أحب ان أتعلم كل شيء».

«هذا يعني انك ستبقين هنا على عكس ما يقول دايفيد».

يبدو ان دايفيد مصر على رحيلها! قالت لنفسها بحزن ثم فكرت انها اذا أظهرت له حبها لهذا البلد سيغير رأيه وينسى فكرة رحيلها.

ساعدها جيف في وضع السرج على الحصان ولكن ما ان خرجا الى الباحة حتى التقيا بدايفيد يتجه نحوهما.

«جيف!» قال دايفيد بحدة:

«ماذا تفعل هنا؟».

«أهلاً دايفيد، جئت منذ قليل لأشاهد سونيا وهي تتعلم ركوب الخيل».

«لكن لديك عمل آخر».

«الآن؟ لا، لقد أنهيت عملي» أجابه جيف بهدوء.

«يجب ان تذهب الى السيد ماركو لتطمئن على سير العمل هناك».

أدرك جيف ان دايفيد يريد ان يتخلص منه فالتفت نحو سونيا.

«كنت أرغب بمشاهدتك وانت تمتطين الحصان، لكني مضطر للذهاب، أراك مرة ثانية، سونيا، الى اللقاء».

«الى اللقاء، جيف» قالت له آسفة وتبعت دايفيد الذي ابتعد مع الحصان دون ان يقول أية كلمة أخرى.

عندما اقتربت منه نظر اليها بحدة.

«اوه، دايفيد، كن متفهماً، لقد كنت قاسياً معه، أنا لم أشجعه».

«ابتسامتك كافية لتشجع الشيطان نفسه».

«اوه، كفى، انت لا تطاق» أجابته غاضبة وأسرعت نحو الاسطبل.

تبعها دايفيد بسرعة.

«هل انت غاضبة؟».

لاحظت سونيا تهكمه ولكنه أضاف قبل ان تتمكن من الاجابة.

«سونيا، لم أكن أريد ان أكون فظاً، لكني أراهن ان كل الرجال في المزرعة معجبون بك وينتظرون اشارة بسيطة منك».

كان من الواضح انه يحاول الاعتذار وبنفس الوقت الاطراء.

«حسناً، دايفيد، لست مضطراً للمبالغة».

«هل تسامحيني؟».

«أسامحك».

ضحك دايفيد ثم تأملها بمحبة مفاجئة.

«هيا، لنرى ماذا تتذكرين من دروس الأمس» قال وهو يساعدها على امتطاء الحصان.

«ماذا ستعلمني اليوم؟».

«سأعلمك كيف تثبتين على الحصان وكيف تمسكين باللجام».

www.elromancia.com

أمضيا ساعتين من الوقت في التدريب، دايفيد يعلمها بلطف ويظهر صبراً طويلاً بينما سونيا تنتبه لكلامه وتتحمل ملاحظاته في النهاية، شعرت انها تعلمت أشياء كثيرة، وعادا الى المنزل بعد ان تواعدا على اللقاء في نفس الوقت.

بعد أسبوع من التمارين، سمح لها دايفيد بالقيام بنزهة على الحصان ورافقها على جواد اسود. استمتعت سونيا بالنزهة كثيراً وأطرى دايفيد على حماسها.

وهكذا تحسنت العلاقة بينهما وتكررت نزهاتهما. وكانا يقضيان السهرة معاً ويتبادلان الأحاديث اللطيفة. مع الوقت، بدأت الفتاة تشعر بالانتماء الى هذه الأرض ولم تعد تفكر بأن بقاءها هنا الى الأبد فكرة سخيفة.

أحياناً كثيرة كانت تلاحظ ان دايفيد مهتم بها اهتماماً خاصة، لكنها لم تكن متأكدة اذا كان يفعل ذلك من تلقاء نفسه او ارضاءً لوالدها الذي كان يبذل جهداً للتقريب بينهما.

بعد ظهر أحد الأيام، اتصلت بها صديقتها لورين من فرنسا وأخبرتها بقبول طلبها في الجامعة.

كان والدها جالساً بقربها واستمع الى المكالمة وشعر بخيبة الأمل لأنها تفكر بالعودة الى فرنسا.

«أحقاً تفكرين بالعودة يا ابنتي؟».

«اوه، ابي» وعانقته بحنان:

«للحقيقة لست أدري، على كل حال، لا يزال لدي وقت كاف للتفكير قبل ان يبدأ العام الدراسي».

كانت سونيا مترددة لأنها بدأت تدرك حقيقة مشاعرها نحو دايفيد، انها مشاعر تختلف عن الاخوة والصداقة، انها مشاعر تنبع من صميم قلبها. مشاعر تدفعها دائماً للتفكير به وكثيراً ما كانت تتلفظ باسمه وتناديه دون شعور منها.

أثناء تناول العشاء، أخبر بادي دايفيد بقبول طلب سونيا في الجامعة.

«وهل ستلتحقين بالجامعة؟» سألها بدهشة.

«نعم».

«نعم؟» ردد بحدة.

لم تعرف بماذا تجيبه لأنها كانت تعرف بأنه يرغب برحيلها لكن ردة فعله أدهشتها كما أدهشت والدها.

«متى علمت بذلك؟».

«بعد الظهر» أجابته بهدوء.

«اتصلت بها صديقتها هاتفياً» تدخل بادي.

نهض دايفيد دون ان يكمل عشاءه وغادر الغرفة.

«لماذا هو غاضب؟» سألت والدها.

«انه ليس غاضباً، يا ابنتي».

«ولكنه يبدو كذلك».

«انه دايفيد، هذه طريقته في الـ...».

«ماذا تقصد، ابي؟».

«أفضل ان تعلمي ذلك بنفسك» قال والدها ونهض بدوره ليجيب على اتصال هاتفي.

صعدت سونيا الى غرفتها ورمت نفسها على السرير تذرف الدموع.

www.elromancia.com

لقد لاحظت الحقيقة فجأة، لم تكن تود ان يقبل طلبها، وكانت تتمنى لو انها رفضت، فذلك يعطيها عذراً للبقاء هنا. ماذا ستفعل الآن؟ كيف تأمل بالعيش مع رجل يكرهها من الأساس. لابد انه كان يهتم بها فقط ارضاءً لبادي بينما هو لا يزال يعتبرها ابنة الممثلة السينمائية اللعوب.

في صباح اليوم التالي، أخبرها والدها بأنه مضطر للذهاب الى سيدني مع دايفيد ولن يعودا قبل مساء الغد. لم تعترض الفتاة لأنها لم تكن ترغب برؤية أحد، فهي بحاجة للتفكير وحدها.

خرج دايفيد دون ان يسلم عليها بينما طبع والدها قبلة على خدها وتبع دايفيد الى الخارج دون ان يهتم لملامح الحزن على وجه ابنته.

جلست سونيا أمام النافذة ولم تعد تستطيع انكار الحقيقة، لقد أحبت هذا المكان وتود لو انها تستطيع ان تمضي فيه بقية حياتها، ولكن مع الرجل المناسب. انها تحب دايفيد ولكنه لا يبادلها مشاعرها. أخذت تتخيل الحياة التي كان من الممكن ان يعيشاها معاً.

تركت الدموع تسيل على خديها لأنها متأكدة بأنها لن تحب رجلاً آخر. في المساء، وقبل ان تأوي الى الفراش، أخذت حماماً منعشاً وعادت الى غرفتها ترتدي روب الحمام.

في هذه اللحظة سمعت طرقات على الباب الخارجي. فنزلت بسرعة اعتقاداً منها ان والدها عاد.

«جيف!» سألت بدهشة عندما رأت جيف أمام الباب.

«جئت للإطمئنان عليك. فأنا أعلم ان والدك ودايفيد ليسا هنا».

«أنا بخير، جيف. شكراً لك».

«تصبحين على خير» قال وهم بالذهاب.

«تفضل جيف، واشرب كأساً».

«لا، شكراً. تصبحين على خير...» وقطع كلامه عندما سمع هدير سيارة تقترب وتقف امام المنزل.

«يا الهي! انه دايفيد» صرخت الفتاة دون ان تعرف سبب خوفها المفاجئ.

بعد لحظات، كان دايفيد يقف بينهما والغضب يتطاير من عينيه.

«لم أكن أتوقع ان تعود الليلة» قال جيف متلعثماً.

«هذا واضح» أجابه دايفيد وهو لا يزال واقفاً يحدق بسونيا.

رفعت الفتاة رأسها بتحد ورفضت ان تعطيه اي مبرر، لكن جيف فضل ان يوضح الالتباس.

«لقد جئت للإطمئنان على سونيا».

«تبدو في حالة جيدة، الا تلاحظ ذلك؟» قال دايفيد باحتقار وهو ينظر الى روبها.

لقد أصبح الاتهام واضحاً الآن، احمر وجه الفتاة وشعر جيف بالذنب.

«كنت آخذ حماماً عندما رن جرس الباب...» قالت سونيا بهدوء.

«حقاً؟» سألها بمزيد من الاحتقار.

www.elromancia.com

«اوه، دايفيد» تدخل جيف:

«سونيا لا تنظر لرجل عادي مثلي. كما وانني لن أسي، الى فتاة وخاصة اذا كانت أختك».

«انها ليست أختي، وانت تعلم ذلك جيداً، ولكن لماذا اذاً تحوم حولها منذ وصولها الى هنا؟».

ساد صمت قصير وبدأ جيف يندم على مجيئه بينما كانت سونيا تتمنى لو انها تختفي تحت الأرض.

«هذا أمر سخيف» قالت فجأة وقد استعادت شجاعتها.

«طبعاً هذا أمر سخيف» قال جيف:

«لا يمكنك ان تستمر بمعاملة سونيا وكأنها ملك خاص بك. وتـ...».

تجهم وجه دايفيد وكأنه على وشك الانفجار، فتدخلت سونيا لتنقذ الموقف.

«ذلك لأنه لا يثق بي ويخاف على رجال المزرعة مني».

«جيف، اعتبر نفسك مطروداً من العمل منذ الآن».

نظر جيف اليه بدهشة وكأنه لم يصدق ما سمعه. لكن سونيا انفجرت غاضبة.

«لا يمكن ان تكون جاداً» ونفرت نحو دايفيد بتحد.

«حقاً؟» قال وهو ينظر اليها بحدة.

«هذا ظلم، دايفيد...».

«لا تزعجي نفسك، سونيا» قال جيف ليتجنب المزيد من المشاكل وخرج.

نظرت سونيا نحو دايفيد باحتقار:

«هل انت سعيد الآن؟» ثم لحقت جيف فأمسكت به

أمام الباب.

«جيف، أنا آسفة، لست أدري لماذا يتصرف هكذا؟».

«لا بأس، سونيا، لست انت المسؤولة، سأجد عملاً آخر».

«لا تهتم لكلامه، سأكلم والدي بالأمر».

«لا تحاولي، دايفيد يمسك بزمام الأمور كلها هنا، كما وانني لن أتمكن من العمل معه بعد اليوم».

«بل يمكنك ذلك اذا اعتذر منك...».

«انت واهمة، دايفيد لا يعتذر ولا يسامح. الأفضل ان تدخلي الى المنزل الآن».

دخلت سونيا المنزل وأسرعت على الفور الى غرفتها كي تتحاشى اي اصطدام ممكن مع دايفيد، لكنه تبعها على الفور ووقف أمام الباب.

«ماذا تريد؟» سألته غاضبة.

«أريدك انت» قال وعيناه تلمعان مهدداً.

«اخرج من غرفتي على الفور» وأشارت بيدها نحو الباب.

«ليس قبل ان تمنحيني ما تمنحيه لكل الرجال».

«اخرج» صرخت وهي تنظر اليه باحتقار.

رغم حبها الشديد له، لن تسمح له بأن يلمسها طالما انه يعتقد بأنها فتاة ساقطة تمارس الحب مع كل الرجال.

اقترب دايفيد خطوتين منها وتأملها بنظرات ملؤها الرغبة.

«ماذا تريد؟».

«الا تعلمين؟».

www.elromancia.com

«لا . . .».

اقترب أكثر وضمها اليه وحاول تقبيلها.

«أرجوك . . .» قالت بصوت ضعيف وحاولت ابعاده عنها. الا انه ظل ممسكاً بها وفمه يبحث عن فمها.

«أيجب علي ان أتوسل؟ أهذا ما تريدينه؟».

تألمت الفتاة لأنه لم يفهمها، لم تكن تريده ان يتوسل اليها، بل تريده ان يقول بأنه يحبها.

«لا . . .».

«اذاً، دعيني أمضي الليلة معك» قال هامساً وهو ينظر مباشرة الى عينيها.

«لا، دايفيد».

«لماذا أنا لا، بينما تسمحين للآخرين بـ . . .».

«دايفيد أنا . . .» وحاولت ان تنفي كلامه لكنه أطبق شفتيه على شفتيها بقبلة عنيف ورماها على السرير.

بعد قليل هدأت قبلاته ورقت لمساته فاشتعلت عروق الفتاة بنيران الرغبة التي كانت تكتمها ورغبت في ان تدعه يفجر كل أحاسيسها على أمل ان يلاحظ مدى حبها له لعله يغير رأيه الذي كونه حولها.

عندما هدأت أنفاسه، تأملها طويلاً، والدهشة بادية على وجهه. لقد اكتشف انها لا تزال عذراء. ولم يعرف حقيقة مشاعره. لكنها لم تكن نادمة لأنها وهبته نفسها ونامت تلك الليلة على كتفه ولم تطلب منه اي اعلان بالحب او اي وعد بالزواج.

في صباح اليوم التالي، استيقظت سونيا متأخرة ولم تجد

اي أثر لدايفيد.

«يا الهي!» وتذكرت كل ما حصل بينهما بالأمس، وتساءلت لماذا خرج دون ان يوقظها وأحست بالألم والاهانة. لقد حصل على ما كان يريده منها ولن يفكر أبداً بالزواج منها طالما انه يحتقرها. استحمت بسرعة وعادت الى غرفتها لتحزم حقيبتها وترحل قبل عودته.

الأفضل لها ان تلتحق بالجامعة وتنهي علومها. لن تجد صعوبة في ايجاد عمل في فرنسا وستتمكن من الاستقلال بحياتها.

وبينما كانت تنتعل حذاءها سمعت خطوات في الممر، فأسرعت لتقفل الباب بالمفتاح كي لا يدخل الى غرفتها مرة ثانية لكنه وضع قدمه أمام الباب ومنعها من اقفاله ونظر اليها بدهشة عندما لمح حقيبتها على السرير.

«سونيا، حبيبتي، ما بك؟».

هذه الكلمة التي خرجت من فمه بحنان جعلتها تضعف فسمحت له بالدخول.

أسرع دايفيد وضمها الى صدره بحنان ورفع وجهها نحوه.

«لماذا تبكين؟».

لم تجبه، فمسح الدموع عن عينيها.

«لن ترحلي! لا يمكنك ان تفعلي هذا بي، ليس الآن!».

«أرى انه الوقت المناسب».

«انه بالفعل الوقت المناسب لزواجنا».

www.elromancia.com

«زواجنا؟» سألته بدهشة.

«أجل بالطبع، فكلما أسرعنا كلما كان ذلك أفضل».

«لماذا؟».

ضمها اليه بحنان وقال هامساً:

«حسناً، من الممكن ان تكوني حامل».

«اذاً».

«اذاً، يجب ان نتزوج بسرعة».

كانت تريد ان تسمع منه كلمة حب، لكنه لا يفكر سوى بالحمل.

«لا أرى ضرورة لذلك، فأنت تعلم ان الأطفال غير الشرعيين هم تقليد في عائلتنا».

«ربما، لكنني لن أدع طفلي يشعر بأنه غير مرغوب به».

فهمت انه يشير الى والدته.

«لا تقلق، اذا كنت حامل، سأحب طفلي ولن أتخلى عنه».

«سوف نتزوج، برضاك ام بدونه».

«لا، لن أتزوجك».

«الا تحبينني؟ لا تحاولي الانكار، ليلة أمس، كانت مشاعرك تدل على...».

«لا علاقة لمشاعري بالأمر، لن أتزوج منك».

«ولماذا اذاً استسلمت لي، طالما انك كنت لا تزالين عذراء؟ هذا يؤكد حبك لي».

«وماذا عنك انت؟».

ابتسم دايفيد بحنان وضمها اليه.

«وتسألين يا حبيبتي؟»

«اذاً لماذا خرجت باكراً؟» سألته بدلال وأخفت وجهها في صدره.

«لأنه كان يجب علي ان أذهب لأسوي مسألة مهمة» قال بمكر.

«وما هي؟».

«كان يجب ان أرى جيف قبل ان يفكر بالرحيل».

«جيف!» سألته بدهشة.

«نعم، لقد طلبت منه ان يسامحني، اعتذرت منه، فقبل اعتذاري وهو الآن يعمل في المزرعة».

«ولماذا هذا التغيير المفاجيء؟».

«لأنني اكتشفت انني الرجل الأول في حياتك وسأكون الأخير».

www.elromancia.com